قصص
بوليسية
للأولاد

لغز المهراجا المزيف



الوصول إلى « بومباى »


ماجد

جلس المغامرون الثلاثة : عامر ، وعارف ، وعالية ، ومعهم سمارة ، وهم يتناقشون ويتجادلون فى شأن رحلتهم المقبلة . وكانت السعادة تغمرهم ، وهم لا يصدّقون أنفسهم ! فلم يكن أحدهم يحلم بأنه سوف يقوم بمثل هذه الرحلة الطويلة المثيرة !

السفر إلى الهند ! ! أهُمْ فى حلم أم يقظة ! بل هى الحقيقة ! فقد تسلّموا اليوم تذاكر سفرهم بالطائرة إلى نيودلهى ، عاصمة الجمهورية الهندية ! ابتاعوها من الثروة التى آلت إليهم من كنز جدّهم عمران . .

بعد يوم واحد سوف تحلّق بهم الطائرة ، تخترق شبه الجزيرة العربية ، وصحراء الرُّبع الخالى ، ثم تجتاز بحر العرب بأمواجه المتلاطمة ، لتحطّ بهم فى ميناء « بومباى » على الشاطئ الغربى لشبه

القارة الهندية . . وهو المعروف بساحل « الملابار » .

وهناك سيكون فى انتظارهم ابن عمهم « ماجد » ، المستشار بالسفارة المصرية بالهند ، الذى رحّب باستضافتهم ، وكان يشعر باللهفة على لقائهم .

وبعد يومين من مشاهدة معالم بومباى ، لؤلؤة الساحل الغربى ، تلك المدينة الجميلة التى لا هى هندية ، ولا إنجليزية ، سيتابعون رحلتهم إلى العاصمة الهندية بالطائرة النفاثة ، فيصلونها بعد ساعتين من الطيران المتواصل . فالمسافات شاسعة فى هذا البلد الذى تبلغ مساحته ثلاثة ملايين من الكيلومترات المربّعة !

وبعد أسبوع من إقامتهم فى « نيودلهى » العاصمة الهندية ، حيث ينجز ماجد عمله فى السفارة قبل قيامه بإجازته السنوية ، وكان سيقضيها معهم فى الهند ، سيتابعون سفرهم بالسيارة إلى أحد المصايف الجبلية فى شمال الهند . وتشتهر الهند بهذه المصايف التى تحتل أعالى الجبال ، تحوطها الغابات الكثيفة ، والأحراش التى تعجّ بالحيوانات الأليفة والمتوحشة !

هذا هو البرنامج الذى رسمه ماجد . وقد وضع نصب عينيه أن تكون الرحلة تثقيفيّة ترفيهيّة . وأهم من ذلك أن تبتعد بهم عن الأخطار التى قد يتعرضون لها فى مجاهل الهند وأحراشها . فقد وصلته

شهرة المغامرين الثلاثة فى ممارسة هوايتهم المفضّلة ، وهى البحث عن المجازفة والمغامرة .

نام المغامرون ليلتهم على أزيز محرك الطائرة وكل منهم يراوده حلم جميل . فأخذ عامر يحلم بمزاولة هوايته فى التصوير ، وبما سوف يلتقطه بآلته الفوتوغرافية الجديدة من مناظر عجيبة ! فهو لن يكتفى فى الهند بتصوير « الحدادى » والأرانب ، كما فعل فى القصر الغامض بقارون . فهناك فى الهند : القرود الأليفة وهى تتسلّق الأشجار ونخيل جوز الهند ، لتقذف بثمراته على رءوس المارة ! وهناك الفيل ، يجرّ جذوع الأشجار الضخمة فى الغابة ! وهناك ثعبان « الكوبرا » وهو يرقص على نغمات المزمار ! وهناك ملايين الأبقار المقدّسة تهيم فى الشوارع بلا صاحب ، وتسدّ الطريق أمام الترام والسيارات وهناك الطاووس الجميل ، شعار الهند ، وهو ينشر ذيله المزيّن بألوان قوس قزح . . يختال به على الرصيف فى الشارع ! وهناك النمر ، والخرتيت وحيد القرن ، والأسد ، والتمساح ، والنسور ! وهناك طير العُقاب ، ينقضّ على الأبقار التى تنفق فى الطريق ، فيأتى عليها فى لمح البصر . وهناك الغزلان والأيائل والتياتل ! وغير ذلك الكثير من قاموس الحيوانات والطيور التى يدرسها « عامر » ! يالها من تجربة فريدة أتاحها له القدر أخيراً !



أما عارف .. فقد كان يحلم بمهراجا يتربع فى هودج يعلو فيلا

أما «عارف» فكان فى وادٍ آخر ! كان يحلم بالمهراجا وزوجته المهرانى ، والراجا وزوجته الرانى ! كان يحلم بأنه يتربّع فى هودج يعلو فيلا ، وهو يلبس عمامة حريريّة ضخمة ! تزيّنها ريشة عالية ، وتتوسطها جوهرة ! إنه لم يكن يطمع فى جوهرة حقيقية كما كان يفعل المهراجات ، جوهرة من الزمرّد الأخضر ، أو الياقوت الأحمر ، بل كانت تكفيه قطعة من الزجاج الملوّن !

أما «عالية» فكانت تحلم بسار هندى أخضر اللون ، تزيّن أطرافه .. خيوط الذهب ، تتهادى فيه وهى تكاد تطير من على الأرض بصندل مزخرف بالرسوم الهندية الجميلة ! وبالنقطة الحمراء تزيّن جبينها ، وضفيرتها وراء ظهرها ! إنه حلم .. ولكنه سوف يتحقق عن قريب !

أما «سمارة» فكان لا يحلم إلا بشىء واحد ! وهو البحث عن زوج للببغاء زاهية الداهية ، يؤنس وحدتها ويشاركها حياتها ، ويرزقها بذرية كبيرة من الببغاوات ! إنه سوف يأتى به من الهند فى قفص جميل !

* * *

هبطت بهم الطائرة فى مطار «سانتا كروز» ببومباى ، الذى يقع على ساحل البحر مباشرة . وكان الوقت صيفاً شديد القيظ والرطوبة ،

بلغت فيه درجة الحرارة الخامسة والأربعين مئوية ! . وكان « ماجد » فى انتظارهم أسفل سلم الطائرة ، فصفته الدبلوماسية تسمح له بذلك . وما إن فُتح باب الطائرة المكيّفة الهواء ، وظهرت « عالية » على السلّم وهى تترأس طابور المغامرين ، حتى تراجعت ودخلت الطائرة ، وهى تقول : ما هذا ! إنها جهنم الحمراء ! ! . . سأعود إلى القاهرة فى نفس الطائرة !

قال « عارف » : ياله من استقبال « حارّ » ولكن ما العمل ؟ ابتسم الجميع بالرغم عنهم . . وكان لابدّ لهم من مغادرة الطائرة ! فغادروها وهم يذوبون تحت أشعة الشمس الاستوائية الحارقة !

قال « ماجد » وهو يضحك : سوف تتعودين يا « عالية » على هذا الجوّ . . تحمّلى حتى نصل مبنى المطار فهو مكيّف . . والسيارة مكيّفة . . والفندق والحوانيت والمطاعم كلّها مكيّفة . . فيما عدا الشوارع !

وما كادوا يهبطون أرض المطار ، حتى ملأت أنوفهم رائحة هواء الهند النفّاذة ، المعبقة برائحة البخور والعطور والتوابل . . من خشب الصندل زكىّ الرائحة ، إلى الفلفل والكمّون . . إلى آخر هذه القائمة التى لا تقع تحت حصر !

وكان « عامر » يحمل آلته الفوتوغرافية استعداداً للتصوير ، كما

يحمل الجندى بندقيته استعداداً للقتال ! « وعارف » يتطلّع هنا وهناك لعلّه يرى مهراجاً بعمامته الحريرية فوق فيله الضخم المزخرف بالألوان والنقوش الجميلة ، وأنيابه البيضاء التى تزيد عن المتر طولاً ! أمّا « عالية » فكانت تنظر بإعجاب إلى السوارى الحريرية المزخرفة المختلفة ، والتى لا تتكرّر فى سارٍ مرتين ! . أمّا « سمارة » فكان يحلق فى السماء ، ظنّاً منه أن سماء الهند مملوءة بالببغاوات ! فلم ير غير الحدأة والغراب ، والنسر والعقاب !

وهكذا حتى وصلوا إلى فندق « التاج » الأسطورى الشهير بمومباى . وكانت السيارة تمرّ بهم فى كورنيش بومباى الجميل الذى يقع على ساحل بحر العرب . وكانت عيونهم تروغ فى عرض الملابس الهندية المختلفة . كل يلبس حسب هواه لا يوجد واحد منهم مثل الآخر . وبائعو جوز الهند وهو مازال أخضر ، يرصّونه أمامهم فى أكوام كالتلال ، يثقبونه ليشربوا عصيره ، ثم يرمون قشره الأخضر بلحمه على قارعة الطريق !

أما الأبقار المقدّسة فحدّث عنها ولا حرج ! فكانوا يرونها وهى تزاحم الناس فى الرصيف والشارع ! تقتحم حانوت الخُضرى فى جرأة ، لتأتى على نصف ما فيه من خضر وفاكهة ، والخضرى سعيد بالبركة التى حلّت على حانوته ! ويدعون للبقرة المقدّسة بطول العمر

والبقاء !

وكان سائق سيارتهم من طائفة « السيخ » ، رائع المنظر بقوامه المديد ، وعمامته الحمراء الضخمة ، ولحيته الكثّة . وكان « ماجد » يشرح لهم ما تتميّز به هذه الطّائفة عن سواها من طوائف الهند التى لا حصر لها ! فقال : إن السيخ لا يقصّون شعر رءوسهم أو يحلقون ذقونهم ، ولا يدخّنون السجائر ، وكل ذلك لأسباب دينيّة . ويضعون حلقة معدنيّة فى معصم اليد لا تفارقه مدى الحياة . والسيخ شعب شجاع مقاتل ، وهم العمود الفقرى للجيش الهندى . ويميّزهم عن سواهم من الجنود تلك العمامة الضخمة واللّحية ، لا يتنازلون عنها مهما كانت الظروف ! ولما سألته عالية عن اسمه قال : يكفى أن تنادى أىّ سيخىّ باسم « سنج » . فكلّهم بدون استثناء يحملون هذا اللّقب . وهى كلمة تعنى « أسد » !

وبينما هم فى طريقهم إلى الفندق ، إذا بالسماء تمطر فجأة . ولكن ما هذا ! إنهم لم يروا مثل هذا المطر من قبل ! وكأن ميازيب السماء فتحت فوق رءوسهم ، وأخذت تصبّ الماء صباً ! فقالت « عالية » وهى خائفة : أهذا مطر ! أم سيل ؟ . إنه أشبه بمياه الخراطيم ! فضحك « ماجد » وقال : إنه « المنسون » ! أى الأمطار الموسمية . وهى تهطل هكذا فى شهرى يوليو وأغسطس من كل عام .

ولو جاء « المنسون » شديداً لسبّب الكوارث والفيضانات ! ولو جاء شحيحاً لسبّب الجوع والقحط ! فهو بالنسبة للهند كفيضان نهر النّيل بالنسبة لمصر قبل بناء السدّ العالى !

وكان الأصدقاء يتوقعون أن تخلو الشوارع من المارّة ، وأن تتوقف حركة المواصلات . ولكن ما حدث هو أن كلّ شخص فتح مظلّته السوداء ، وسار فى طريقه وكأنه يسير فى نزهة خلوية !

وقال لهم « ماجد » : إن الهنود تعوّدوا على ذلك ، بل هم سعداء بهذا الغيث . ولو أنهم توقفوا عن الحركة أو السير ، لظلّوا فى أماكنهم بلا حراك لثلاثة أشهر ، ولتوقّفت الأعمال فى الهند وأصابها الشّلل التام ! وحتى البقر الهائم كان لا يأبه بهذا السيل المنهمر ، وكأنه يتّقى به شر القيظ اللافح ! .

وأخيراً وصلت بهم السيارة إلى « التاج » . وكانت غرفهم أنيقة مكيّفة الهواء ، أنستهم حرّ بومباى وسيولها ! وفى مواجهة غرفهم كان يقع قوس ضخم يشبه « قوس النصر » فى باريس . فلما سألوا عنه « ماجد » قال لهم : هذه هى « بوّابة الهند » ، التى غادر من تحتها آخر جندى بريطانى أرض الهند ، لتنال استقلالها عام ١٩٤٧ على يدى غاندى ونهرو وزملائهما فى الكفاح ، بعد احتلال دام لأكثر من ٣٥٠ عاماً .



لم تكن تعلم عالية أن البرتقال فى الهند هو اليوسفى

وقد أدهشهم أن يجدوا فى كل حجرة سلّة مملوءة بالفواكه ، كهديّة من إدارة الفندق ! وكانت كلّ سلّة منها تحتوى على الفواكه التى اشتهرت بها الهند : الأناناس ، والمانجو ، والموز – ومنه ما هو أحمر القشرة فى حجم خنصر الكفّ – والبابايا ، واليوسفى .

وكانت « عالية » تشتهى البرتقال ، فنادت على « البيرر » – أى الخادم – وسألته أن يأتى لها ببرتقالة . فذهب وأتى لها بيوسفيّة ! فقالت له : بل أريد برتقالة ! فأجابها بأدب : هذه برتقالة ! . . . فلم تكن تعلم أن البرتقال فى الهند هو اليوسفى ! أما البرتقال فاسمه « مالتا » ! ! فقالت له وهى تضحك : حسناً . . أريد « مالتا » .

وكان الإرهاق قد حلّ بهم من أثر الرحلة الطويلة الشّاقة ، فناموا مبكّرين . ولكنهم استيقظوا فجأة فى تمام السادسة صباحاً ، على صوت نقر خفيف على الباب . وإذا « بالبيرر » يدخل بصينية عليها إبريق من الشاى الهندى الفاخر ، وموزة وبرتقالة واحدة – أى يوسفيّة ! ، وجريدة الصّباح . فقال له عامر بدهشة : ولكنّنا لم نطلب هذا ! . . والساعة مازالت السادسة ! فأجابه البيرر بأدب جمّ : صباح الخير يا سيدى ! هذا هو شاى وفاكهة وجريدة الصباح ! هذه هى عادتنا فى الهند ! يمكنك أن تعاود النوم بعد شرب الشاى وقراءة الجريدة . . حتى حلول ساعة الإفطار فى الساعة

الثامنة ! هذه عادة ورثناها عن الإنجليز ! . .

وبعد الإفطار ، اجتمع المغامرون مع « ماجد » فى بهو الفندق . وشد انتباههم البهو الواسع الأنيق ، الذى كان كخليّة النحل ! إنهم لم يروا من قبل مثل هذا الخليط من الناس ، ولا مثل هذا العرض الجميل المتنقّل للأزياء ! وكان « عارف » يجول بعينيه لعلّه يرى مهراجا بهندامه الفخم الذى كان يتخيّله فى رأسه ، تحوط به حاشيته ! . . ولكنه لم يكن يعلم أنه لم يعد هناك مهراجات فقد جردوا من ألقابهم وثرواتهم الطائلة وقد أصبحوا الآن مواطنين عاديّين . فلا حاشية ولا قصور ولا مال . . ولا جواهر ولا هوادج ولا أفيال !

قال « ماجد » : سنطير اليوم ظهراً إلى العاصمة « نيودلهى » . وسنمكث هناك ثلاثة أيام ، حيث تشاهدون فيها معالم المدينة الكبيرة الجميلة . وأنهى أنا فيها عملى قبل قيامى معكم بالإجازة . ثم نسافر بالسيارة إلى « سِملا » ، وهى مصيف جبلى رائع ، اشتهر بانتقال الحكومة الهندية إليه كل صيف إبّان الحكم البريطانى للهند ، وذلك هرباً من حرّ العاصمة الذى لا يطاق ! وتحيط بالمصيف الغابات الشاسعة الكثيفة . وقد استأجرت لكم « بنجالو » على مشارف إحدى الغابات ، لتستجمّوا فيه من عناء الدراسة . وسنقضى فيه وقتاً هادئاً

لطيفاً ! !

أما « عالية » فقد لاحقته بأسئلتها كعادتها : ما هو « البينجالو » ؟ وماذا سنفعل فى هذا المصيف الجبلى . . وهذا المكان الهادئ ! . فأجابها ماجد : « البنجالو » هو « فيلا » صغيرة ، أو شاليه ، تحيط به حديقة ، وتلتفّ حوله البواكى المغطاة بالحصير ، لتلافى الحرّ والبرد والمطر . أمّا ماذا سنفعله فى هذا المكان ، ففى جعبتى الكثير من المفاجآت العجيبة التى تنتظركم هناك ! فبرقت عينا « عالية » وهى تسأله : وما هى هذه المفاجآت ؟ فأجابها « ماجد » وهو يبتسم : لو قلت لكم عليها الآن . . فلن تكون هناك مفاجأة ! ولكن يمكننى القول إن مفاجأة واحدة منها على الأقل سوف تحمل طابع المغامرة والمخاطرة ! ولكنى بما عهدته فيكم من حبّ المغامرات ، واجتياز المخاطر فهى ستكون بالنسبة لكم أشبه بنزهة « خلوية » بريئة ! ثم نظر إلى « عامر » وقال له : وستجد فيها أنت يا « عامر » بصفة خاصّة متعة وفائدة ! !

كانت السيارة تخترق بهم شوارع بومباى فى طريقها إلى المطار وكان يخيّل للمغامرين أنهم يسيرون فى شوارع لندن ، التى زاروها فى العام الماضى . فبانيها الضخمة إنجليزية الطراز . واللافتات مكتوبة بالإنجليزية والأوتوبيس الأحمر ذو الطابقين ، والمرور على الجانب

الأيسر من الطريق ، وأسماء الشوارع والميادين تحمل أسماء إنجليزية . . تماماً كما هو فى العاصمة البريطانية ! ولم يكن يميّزها عنها سوى البقر الحرّ الطليق ، ونخيل جوز الهند على جانبى الطريق . . والحرّ اللافح والرطوبة الخانقة والسيول الجارفة !

ومع ذلك فقد كانوا يستمتعون بكل ما يرونه . . فهو بالنسبة لهم شىء جديد . . غريب . . عجيب !



« جابر »



جابر

وبعد رحلة طويلة بالطائرة النفّاثة ، وصلوا إلى العاصمة نيودلهى ، مدينة الحدائق الغنّاء ، ومقرّ الحكومة المركزيّة للجمهورية الهندية الضخمة ، بعدد سكانها البالغ ٦٥٠ مليوناً من الأنفس ! . .

وكان « ماجد » يقطن فى فيلا أنيقة من طابق واحد مكيّفة الهواء ، تحوطها حديقة تزيّنها الورود والأزهار ، ويفترشها النجيل الأخضر الناعم ، وهو الطراز السائد فى العاصمة الجميلة . وتقع هذه الفيلا فى إحدى « المستعمرات » التى تتناثر حول العاصمة وتكوّن ضواحيها .

وقد اندهش المغامرون عند وصولهم إلى المنزل ! فقد وجدوا جيشاً من الخدم فى استقبالهم ! وشرح لهم « ماجد » فقال : هذا هو الجيش الذى يقوم على خدمتى فى هذا المنزل الصغير ! كل منهم له

اختصاصه لا يتعدّاه . . حتى ولو شنقوه ! وكل منهم يتعالى على الآخر ، تبعاً للطّائفة التي ينتمي إليها ! فهذا هو الطّاهي واختصاصه المطبخ . وهذا هو « البيرر» يقوم على الخدمة المنزلية النظيفة . وهذا هو « الدّوبى » أي الغسّال ، يتولّى غسيل الملابس وكيّها . وهذا هو البستاني لا يتعدّى الحديقة ! أمّا هذا المسكين الذى ينزوى فى الركن مطأطئ الرأس . . فهو المنبوذ ! يقضى حياته فى مسح البلاط ! لا يمسّه أحد ، ولا يمسّ أحداً . . وإلاّ فالويل له ! وهو محروم من لبس الحذاء ، أو استعمال المظّلة ، أو حمل الحيوانات المستأنسة ، أو شرب الماء من موارد المياه العامة للطوائف الهندوسية الأخرى ، أو دخول المعابد . . وغير ذلك الكثير ! ومصيبتى الكبرى فى إطعامهم . فكل واحد منهم يتفادى الآخر ، كما يتفادى السليم الأجرب . والطاهى يرفض أن يجهّز الطعام لبقية الخدم فهو أعلى منهم طبقة ! ! . . فاضطرّ إلى شراء الطعام لهم من الخارج !

قضى المغامرون اليوم الأول والثانى فى مشاهدة معالم العاصمة التى تنقسم إلى قسمين : دلهى الجديدة ، ودلهى القديمة . وكانت الأخيرة عاصمة البلاد إبّان الحكم الإسلامى للهند ، وهى الآن مركز تجمّع الطوائف الإسلامية . كانوا يتجوّلون فى أزقّتها وحواريها وأسواقها العتيقة ، وكأنهم يتجوّلون فى القاهرة القديمة : خان الخليلى والحسين

والتربيعة والأزهر الشريف . يشاهدون آثارها الإسلامية ، وأهمها القلعة الحمراء ، ومسجد « الجمعة » الضخم ، وهو من أكبر المساجد الإسلامية المفتوحة فى العالم الإسلامى ، ومتاجر ومنازل المسلمين وهى تحيط به ، كما يحيط السوار بالمعصم . ودلهى الجديدة ببواكيها ، وبحدائقها الغنّاء . وحىّ الوزارات الفخم الذى شيده حكام الهند البريطانيون ، حيث تجتمع فيه دور الحكومة . ودار البرلمان الدائرىّ العجيب . . وكأنه « الكوليزيوم » فى روما ! وأضرحة الأباطرة المسلمين . ومنارة قُطْب ، بنقوشها وزخارفها الإسلامية ، وآياتها القرآنية ، وهى أعلى منارة فى العالم الإسلامى !

أما فى اليوم الثالث ، وقبل مغادرتهم العاصمة إلى مصيف « سملا » ، فقد اصطحبهم « ماجد » فى رحلة خاطفة إلى مدينة « أجرا » ، التى تبعد ساعتين بالسيارة ، لمشاهدة ضريح « التاج محل » الأسطورى . فقد قال لهم « ماجد » إن زيارتهم للهند لن تكتمل إلا بمشاهدة إحدى عجائب الدنيا السّبع !

وقفوا أمام الصرح العظيم وهم مشدوهون من روعته وجماله . ذلك الصرح الذى شيّده الإمبراطور « شاه جاهان » من المرمر الأبيض ، على ضفاف مياه نهر « الجُمنى » المقدّس ، وفاء لزوجته « ممتاز محل » . وصاحت « عالية » بعد أن فاقت إلى نفسها : هذا


تمثال رجل له رأس فيل ! ! هذا شيء عجيب

أجمل شيء رأيته فى حياتى ! أما «عامر» فكان ينهمك فى التقاط الصور للضريح من زواياه المختلفة . وعارف وسمارة يقفان فى صمت وخشوع ، وقد انعقد لسانهما عن الكلام !

* * *

كانت الرحلة إلى مصيف «سِمْلا» شاقّة طويلة ، اخترقوا فيها الصحارى والأودية والغابات والجبال . وبالرغم من طول الرحلة ، فلم يشعروا بتعب أو إرهاق . فقد كانوا يشاهدون لأول مرة مثل هذه الطبيعة الساحرة المتباينة . وكانت الحيوانات والطيور الأليفة تصادفهم كثيراً وهم يعبرون الغابة . فرأوا الغزلان والتماثيل والقرود والطواويس . وكان أسعدهم هو «سمارة» عندما شاهد مجموعات من الببغاوات ذات الألوان الزاهية البرّاقة . ولكنها للأسف كانت تتكلّم بلغات ولهجات هندية لم يفهمها ! ولكن هذا لا يهمّ ، فهى سرعان ما ستتعلّم العربية من «زاهية» ! عندما يهديها بواحد منها !

وكانت السيارة تصعد الجبل العالى فى طرق ملتوية ، ومنحنيات خطرة ، حتى وصلت أخيراً إلى المدينة ذات الشوارع الضيّقة ، والمنازل المتلاصقة . وكانت فيلاّت وأكواخ المصيّفين تتناثر على سفوح الجبل ، حتى تصل إلى أسفل الوادى ، ومشارف الغابات الكثيفة التى تمتد حتى الأفق البعيد !

قال «**ماجد**» : والآن سنخترق سِمْلا ، ثم ننحدر إلى أسفل الجبل لنصل إلى «شاليمار» ، وهو اسم «البنجالو» الذى سنقضى فيه إجازتنا !

وما كادوا يصلون إلى شارع المدينة الرئيسىّ الضيّق ، حتى وجدوا زحاماً شديداً ، وجموعاً غفيرة تصطفّ على جانبى الطريق ! فتوقّف «ماجد» بالسيّارة على الجانب الأيسر حتى ينفضّ الزحام . وإذا بهم يسمعون فجأة صوت طبول وصنج ومزامير وتراتيل تأتيهم من بعيد ! وأخذت الأصوات تقترب رويداً رويداً ، حتى أصبحت تصمّ آذانهم . ثم بدت لهم الأعلام المختلفة وهى تتقدّم موكباً ، ورهط من الرجال يحملون على أكتافهم محفّة عريضة عليها تمثال مرصّع بالجواهر النفيسة !

أخذتهم الدهشة والعجب ممّا رأوا . فقد كان التمثال لرجل بدين له «كرش» كبير ! وتخرج من بين جنبيه أذرع كثيرة ! ولكن كان ما شدّ انتباههم ، وأثار فضولهم ، هو رأس التمثال ! فقد كان رأس فيل ، له خرطوم طويل ! ! . . رجل له رأس فيل ! ! هذا شىء عجيب !

قال لهم «**ماجد**» : إنهم يحتفلون «بالجانيش» ، وهو إله الحكمة عند الهندوك !

وما كاد ينتهى من كلامه حتى ظهر من منعطف الطريق فيل ضخم ، مزركش بالألوان الحمراء والزرقاء والصفراء والبيضاء . وكان يجلس فوق رأسه «الماهوت» ، أى مدرّبه الذى يلازمه ويعتنى به .

فصاحت **عالية** : ياله من فيل ! ! إنه أضخم من فيلنا فى حديقة الحيوان أربع مرّات ! ! ثم حدث مالم يكن على بال أحد ! فقد جفل الفيل فجأة ، وأخذ يعدو على غير هدى . وكان مدرّبه ينخسه بشدّة بسيخ من الحديد المدبّب ، وهو يحاول إيقافه ! فشاع الهرج بين الناس ، والكلّ يجرى ويقفز محاولاً الهرب من طريق الفيل الهائج !

وكان من بينهم هندى صغير فى سنّ «عامر» ، شديد السمرة ، عارى البدن إلاّ من إزار حول وسطه ، له خصلة طويلة من الشعر تتدلّى من مؤخّرة رأسه ، وحَلَق كبير فى أذنه اليمنى . وكان يعدو فى الزحام إلى أن انكفأ على وجهه على أرض الشارع ، والفيل الشارد على وشك أن يدهمه ! .

وفى لمح البصر ، أدرك «عامر» ما يحيق بالهندى الصغير من موت مؤكد . فقفز من السيارة فى خفّة الغزال ، وانقضّ على الصبى فى جرأة ، وجذبه من طريق هذا الجبل المتحرّك ! وكان على بُعد شعرة من جسمه الممدّد فى الشارع ! فصاحت الجموع الغفيرة إعجاباً



وكان من بينهم هندى صغير فى سن عامر، يعدو فى الزحام.

بشجاعة «عامر» وفدائية، وصفقوا له طويلاً. وكان «عامر» يهدئ من روع الهندى الصغير، وأخذه معه إلى السيّارة!

قال الهندى الصغير: «شكريا صاحب»! فقال له عامر: لا شكر على واجب!. ولكن الهندى بحْلق فى وجهه ولم يفهم منه شيئاً! فنبّهه «ماجد» إلى أن الهندى لا يتكلّم العربية، بل اللّغة «الأرديّة»، وأنه قال له: شكراً سيدى!. فسأله عامر بالإنجليزية: ما اسمك؟ فأجابه الهندى الصغير: اسمى «جابو». فقال له: وأين منزلك؟ فأجابه: أقيم مع أبى فى أسفل الجبل بالقرب من الغابة!

فقال له «عامر»: ونحن أيضاً.. سنأخذك معنا بالسيارة يا «جابو».. إننا نقطن فيلاً «شاليمار». فقال له «جابو» بدهشة: إن منزلنا يقع بالقرب من «شاليمار»!

تابع «ماجد» سيره، وكان «جابو» يتطلّع فى وجوه المغامرين بإعجاب، وقال: إننى مدين بحياتى لكم.. وإنى أضع نفسى تحت تصرّفكم طول إقامتكم هنا. وسيسرّ والدى أن يقدّم لكم ما تحتاجون إليه من خدمات!

فسألته «**عالية**»: وماذا يفعل والدك يا «جابو»؟ فأجابها: إنه يملك عربات تجرها الثيران القويّة، يؤجّرها لقاطعى الغابات لينقلوا

عليها أحمالهم . كما يملك ثلاثة أفيال ضخمة لتجرّ جذوع الأشجار ، ولصيد الحيوانات فى الغابة ! !

فسألته «**عالية**» بلهفة : وهل يمكننا أن نركبها ؟ فأجابها «ماجد» وهو يبتسم بخبث : ستركبينها عن قريب يا «عالية» ؟

* * *

جلس المغامرون مع «ماجد» فى حديقة فيلا «شاليمار» الجميلة ، ليستريحوا من عناء الرحلة . وقال لهم «ماجد» والآن .. سأحدثكم عن المفاجأة التى تنتظرونها !

فصاح الجميع : وما هى ! فصمت «ماجد» قليلاً ليزيد من إثارتهم ، ثم قال : سنخرج فى رحلة إلى داخل الغابة !

فسأله **عامر** : وماذا سنفعل فى هذه الغابة المخيفة ؟ فأجابه : إذا أسعفنا الحظّ .. سنصيد نمراً ! ! .. فصاحت «عالية» بفرح : وإذا اصطدته أنا فسوف أحصل على جلده لأصنع منه بالطو جميلا ! فضحك «ماجد» طويلا وقال : سنترك عملية الصّيد هذه للصائدين المهرة المدربين .. أما نحن فسنكون من المتفرجّين المحايدين ! ثم تابع حديثه فقال : يشكو أهالى القرى المجاورة من وجود نمر مفترس فى هذه الغابة ، دأب على السطو ليلاً على عجولهم وأبقارهم ومواشيهم ليفترسها ! ولذلك فهم يلازمون ديارهم لا

يبارحونها خوفاً من بطشه !

فقالت «**عالية**» : الحمد لله أن حديقتنا تخلو من العجول والأبقار والمواشى ! ..

وتابع «**ماجد**» حديثه : وقد أبلغنى الرجل الهندى الذى يؤجر لى هذا البنجالو بأنه قرّر أن يريح القرويّين من هذا النمر . وأنه سيستعين فى ذلك بأحد الخبراء المهرة فى صيد النمور .. قال إنه مهراجا سابق ! .. فقاطعه «عارف» قائلاً : تقول مهراجا ! ! .. هل سنقابل مهراجا أخيراً ! فضحك «ماجد» وقال : هكذا يقول صاحب المنزل .. ولكنى لم أقابله ولم أره ! ..

وسأله «**عامر**» : ومتى ستبدأ هذه الرحلة ؟

فأجابه «**ماجد**» باكر ظهراً .

فقال «**عامر**» : ظهراً ! ! أنا أعلم أن النمر لا يعسّ إلاّ ليلاً !

فاستدرك «**ماجد**» قائلا : هناك ترتيبات ضخمة لصيد النمور سترونها غداً ! ستبدأ منذ الغد ظهراً .. وإذا سارت الأمور سيراً طبيعياً ، فسنعود بالنمر بعد باكر ظهراً ! والآن أنتم فى حاجة إلى الراحة والنوم ، استعداداً للغد بليله الطويل العصيب . فهى مغامرة أدعو الله أن تنتهى على خير ! ..

دخلوا مخادعهم .. ولكن مغامرة الغد أطارت النوم من

جفونهم . فكانت «عالية» تحلم بجلد النمر . . ياله من بالطو جميل !
و«عامر» يحلم بالتقاط صورة للنمر ، وهو يقبل عليه متلصصا فى الظلام الدامس ، والنور يشعّ من عينيه كضوء بطارية قويّة . . . يالها من لقطة فريدة ! و«عارف» لا يحلم إلاّ بالمهراجا بملابسه الفخمة ، وعمامته الضخمة ! أما «سمارة» فكان لا يشغل باله غير العثور على ببغاء أخضر جميل يليق «بزاهية» ! ربما عثر عليه فى الغابة !



المغامرون فوق «الماشان» !



استيقظ المغامرون من نومهم فى السادسة صباحاً بعد نوم متقطّع . فقد كان النمر المفترس يملأ عليهم تفكيرهم ، وتطغى صورة خطوطه السوداء ، وعيونه المشعّة ، على أحلامهم . فمثل هذه الرحلة لا تتاح إلاّ للمغامر سعيد الحظّ !

وما كاد «عامر» يفتح نافذته حتى رأى «جابو» يقف فى الحديقة وكان كعادته عارى البدن حتى وسطه ، وخصلة الشعر تتدلّى على رقبته . وكان يحمل فى يده «لوتا» ، وهى الجرّة الهندية التى يقدّسها كل هندوكى ، يضع فيها الماء واللّبن وقت الأكل والشرب والصّلاة .

كما يضع فيها رماده بعد حرقه ، فهم لا يدفنون موتاهم ، بل يحرقونها ! وهذه «اللّوتا» لا تفارقه ، ولا يستعملها أحد سواه ! وكان «جابو» ، يضع فيها قليلاً من اللّبن الطازج كهديّة منه إلى أصدقائه الجدد ، ومنقذى حياته من شرّ الفيل الشّارد ! وهو بفعلته هذه ، يودّ أن يظهر لهم الشعور بالأخوّة والصداقة .. وكأنهم قطعة منه لا تنفصم !

فصاح فيه «عامر» : صباح الخير يا «جابو» . ماذا تفعل هنا فى هذه الساعة المبكّرة ؟ فأجابه «جابو» ضاحكاً : إن الوقت ليس متأخراً .. فأنا أصحو فى الرابعة صباحاً .. لأقدّم العَلَف إلى «سيتا» ، وأذهب معها إلى النهر لتأخذ حمّام الصّباح !

فقال له «**عامر**» : ومن هى «سيتا» هذه ؟ وما هذا الذى تحمله فى يدك ؟ . فأجابه : «سيتا» هى الفيلة التى أرعاها وأدربها ! وهذا لبن لإفطاركم .. أرجو أن تقبلوه منى .. فقد حلبته لكم طازجاً بيدى ، من البقرة التى نقدّسها !

خرج الجميع للقاء «جابو» فى الحديقة ، وجلسوا على النجيل الأخضر يتناولون الفاكهة ويشربون اللبن المقدس !

قال لهم «**جابو**» : إن والدى يعتذر إليكم ، فقد كان متغيباً بالأمس . كان داخل الغابة يشرف على إقامة مخيّم لصيد النمر !

فقاطعته «**عالية**» قائلة : هل تعلم «يا جابو» أننا سنذهب فى هذه الرحلة ؟ فأجابها «جابو» والبِشْر يشع من وجهه : هل هذا صحيح ! فأنا لم أكن أعلم ذلك ! لم يخبرنى أبى بشىء .

قال له «**عارف**» : وما رأيك فى أن تأتى معنا ! فأجابه : إننى سأكون مع القافلة . فأنا مكلّف بقيادة «سيتا» . والخدمة فى المعسكر ! .

فقالت «**عالية**» فى فرح : إذن سنمتطى «سيتا» ! فأجابها : وأنا أنصحكم بذلك ! لأن «سيتا» فيلة لطيفة ووديعة ومهذبة ! وهى تحبّ الأطفال .. والأحمال الخفيفة !

سأله «عامر» عن ترتيبات الرحلة المثيرة . وطريقة صيد النمر ، فقال له «جابو» : سنركب الأفيال إلى داخل الغابة ، حيث أقمنا معسكراً فى مكان مكشوف ، سنبيت فيه ليلتنا . وسيذهب أبى قبل حلول الظلام بصحبة بعض الرجال المدربين . وعجل صغير ، إلى مكان بعيد وسط الغابة ، يحتمل أن يجوس النمر حوله . ثم يقيدون العجل فى جذع شجرة ، ويتركونه هكذا ، ويرجعون إلى المعسكر ؟

فقال «**سمارة**» : وما فائدة ذلك ! فسيأتى النمر ويفترس العجل !

فقال «**جابو**» ضاحكاً : لا ! . النمر سيظهر فى الليل ، ويقتل العجل فقط ، ثم يتركه إلى الليلة التالية ! وسيذهب أبى وجماعته فى

الصباح ، فإذا عثروا على العجل مقتولاً ، كان هذا إيذاناً بأن النمر موجود . وسنكون نحن فى انتظاره ليلاً عندما يعود لافتراس العجل ! هذه هى عادة النمور !

فسألته «**عالية**» وأين سنكون نحن ؟ هل سنختبئ وراء جذوع الأشجار؟

فضحك «**جابو**» طويلاً حتى بانت نواجذه البيضاء وقال : لا طبعاً ! بل سنكون فوق «الماشان» .

فسأله «**عارف**» : وما هو «الماشان» ؟ فأجابه : هو لوح كبير مسطح يصنع من الخشب ، ليوضع فوق فروع الأشجار الضخمة ، ويربض الصائدون فوقه ، انتظاراً لوصول النمر بحثاً عن العجل الذى قتله بالأمس ! وقد صنع أبى ثلاثة منه ، أحدها سيعتليه «كريشنا» صاحب ، والثانى «شانكار» صاحب ، وهو المهراجا . ولابد أن يكون الثالث لكم ! وستأخذكم «سيتا» حيث يوجد الماشان ، وهو فى مستوى ظهرها ! وما عليكم إلا أن تنتقلوا من ظهرها إلى الماشان مباشرة !

فقالت «**عالية**» لو علم النمر بهذه المؤامرة التى تحاك حوله ، وأننا نترصّده ، لاكتفى من الغنيمة بالفرار ، ولمَا قتل العجل المسكين !

وقال «**سمارة**» : وماذا يحدث بعد ذلك ؟

فأجابه «**جابو**» : ينتظر الصائدون فى مكانهم بلا حراك حتى يظهر النمر . ولو كان فى وسعهم الامتناع عن التنفّس لفعلوا ! حتى لا يشعر النمر بوجودهم . فالنمر يشعر بأقل حركة أو همسة !

سألته «**عالية**» : وكيف يرى الرماة النمر فى ظلام الغابة الحالك ؟

فأجابها : إنهم لا يرونه ! بل يرون فقط كرتين من الضوء الأخضر القوىّ تنبعثان من عينيه . وهاتان الكرتان هما الهدف الذى سيطلقون الرصاص بينهما حتى يصيبه فى رأسه فيخرّ صريعاً فى الحال !

فقالت «**عالية**» وكأن كابوساً قد انزاح من على صدرها : الحمد لله ! وعندئذ يمكننى أن أهبط من الشجرة لأرى النمر وأحتسّه ! !

فاستدرك «**جابو**» قائلا : إياك أن تفعلى ذلك ! سننتظر حتى الصباح حتى نتأكّد من مصرع النمر . إذ ربما يكون قد جرح فقط ! فالنمر المصاب الجريح . . أخطر على الإنسان من النمر السليم ! !

سأله «**عامر**» فجأة : وماذا تعرف عن «كريشنا» صاحب البنجالو ؟ فصمت «جابو» طويلاً ثم أجابه : لا أحد هنا يعرف عنه شيئاً ! فهو غريب عن هذه الناحية ! ولكنه ينفق بدون وعى أو حساب ! وقد ابتاع هذا البنجالو من مدّة ، وهو يؤجره شهر أغسطس من كل عام للمصيّفين ! ويحتفظ بالبدروم لنفسه ليحفظ فيه ، كما يقول ، مقتنياته الشخصية الثمينة ! ويحكم إغلاق جميع

منافذه ! أمّا هو فيقطن فى كوخ صغير على حافة الغابة ! فقال له «عامر» : وماذا تعرف عن المهراجا ؟ فأجابه «جابو» : لا أحد يعرف شيئا عن هذا المهراجا ! أو سمع عنه من قبل ! وهو يأتى فى زيارات خاطفة متقطعة لكريشنا من وقت لآخر . فسألته عالية : وماذا يفعلان ؟ فأجابها : إنهما يستأجران من والدى عربة يجرها ثور قوىّ ، يدخلان بها الغابة للصيد ! وفى بعض الأحيان يستأجران «أشوك» و «كيشا» وهما الفيلان الآخران ! أمّا «سيتا» فهى ترفض أن تتحرك بدونى ، وهما لا يريداننى معهما ! ! . .

سأله «عامر» : وماذا يصيدان ! فأجابه جابو : لا شىء ! ! مع أن الغابة مملوءة بالحيوانات والطيور والزواحف ! وحجّتهما دائماً أنهما لم يوفقا فى الصيد !

سأله «سمارة» : وماذا فى الغابة يشدّ انتباههما غير الصيد ؟

فأجابه «جابو» : لا شىء البتّة ؟ هناك فقط معبد هندوكى قديم ، ولكنه مهمل ومهجور ؟ أغلقه الكهنة منذ عشر سنوات بعد أن تصدّعت جدرانه ، وآل إلى السقوط فوق رءوس المتعبّدين ! وكان ذلك على أثر زلزال عنيف مدمّر اجتاح منطقة «سملا» ! ومنذ ذلك الوقت لا أحد يقربه !

أخذ المغامرون ينظرون إلى بعضهم بعضاً فى دهشة بالغة ! إن فى

الأمر سراً غامضاً !

* * *

وصل «كريشنا» والمهراجا «شانكار» إلى بنجالو «شايمار» ظهراً فاستقبلهما «ماجد» وأخذ يتحدّث إليهما فى تفصيلات رحلة الصيد . فى حين كان المغامرون يجلسون من بعيد ، وهم يتفرّسون فيهما بإمعان شديد !

أصيب «عارف» بخيبة أمل كبيرة عندما شاهد المهراجا ! أيكون هذا مهراجاً حقًّا ! وأين عمامته ! وأين لباسه الحريرى الفخم ! وأين جواهره ! وأين الأبهة والفخفخة والخدم والحاشية ! إنه وصل مع كريشنا سيراً على الأقدام وهو ينهج من التعب ، وليس فى هودج على فيل ! ربما كان مهراجا فقيراً ، فقد سمع أن من بينهم من لا يجد قوت يومه ! ثم وصلت الأفيال الثلاثة : «سيتا» ويمتطيها «جابو» ، و «أشوك» ، و «كيشا» ويمتطيها رجلان نصف عاريين . وكان «عامر» يتفرّس فى وجهيهما ، وقد خيل إليه أن مخائل المكر والشرّ تبدو عليهما ! كانا على طرفى نقيض من «جابو» ، الذى تبدو على وجهه مظاهر البساطة والصراحة والإخلاص .

تدثّر الأطفال بملابس ثقيلة درءاً لبرد الغابة . فقد كانوا سيظلّون قابعين فوق «الماشان» من المغرب حتى مطلع الشمس !

امتطى عامر وعارف وعالية وسهارة الفيلة «سيتا» . وكان جابو يجلس أمامهم فوق رأسها الضخم المزخرف ، وهو يوجهها بمنخاسه الحديدى المدبّب ! وكان يخيّل إليهم أنهم يمتطون ظهر بناية عالية متحرّكة ! وكانت «سيتا» سعيدة بحملها الخفيف . فوزنهم جميعاً مهما ثَقُل أخف وزناً من أصغر جذع شجرة تحمله فى الأحراش والغابات ! وكانت تسرع الخطى وهى ترفع خرطومها الطويل بالتحيّة ، وتهزّ ذيلها ، وصوتها ، الذى يحاكى صوت النفير العالى ، يدوى فى الغابة . .

قال لهم «جابو» إن معسكر الخيام مجهّز للإقامة لمدة أسبوع من باب الاحتياط ! إذ قد لا يظهر النمر قبل ذلك ! أو ربما هو قد عثر على العجل بالأمس ! أو قد يعثر عليه هذه الليلة أو باكر ! أو ربما افترسه حيوان آخر قبله ! . . وسنعرف كل ذلك عن قريب . .

وما كادوا يصلون إلى المخيّم الكبير ، حتى أتتهم البشرى المنتظرة ! لقد اكتشف النمر العجل وقتله . . وأن عليهم أن يستعدوا للذهاب لمواجهة النمر المفترس !

أصاب المغامرين الوجوم والخوف . إن المسألة لم تصبح الآن مجرد دردشة أو حدّوتة ! لقد فات وقت الكلام . . وحان وقت العمل . وليس من رأى كمن سمع ! فماذا لو قفز النمر عليهم وهم فى طريقهم

إلى «الماشان» من فوق شجرة وهم على ظهر «سيتا» وافترسهم جميعاً ! أبدت «عالية» مخاوفها ، فقال لها «جابو» : إن النمر لا يفعل ذلك . . بل الفهد هو الذى يتسلّق الأشجار ، ويهاجم فريسته من فوقها . . فهو أخطر من النمر فى الغابة ! . .

فضحكت «عالية» وقالت : يعنى نحن الآن كالمستجير من الرمضاء بالنار ! ! . .

وقبل حلول الظلام ، توغّلت بهم القافلة داخل الغابة الكثيفة . فى طريقها إلى حيث نُصب «الماشان» . وكان يقود القافلة الدليل المحنّك والدجابو . وكان المغامرون يتطلّعون من آن إلى آخر إلى الحيوانات التى تقفز فوق فروع الأشجار ، فى خفّة ومهارة . كان أمهرها وأخفّها هى القردة ، وكانت تقفز وهى حاملة صغارها ، تحتضنها كما تحتضن الأمّ وليدها ! وكذلك السنجاب ، ذلك الحيوان اللطيف الذى يشبه الأرنب فى كل شىء ، إلا فى ذيله الطويل الكثّ ، والذى يحفر بيته فى جذوع الأشجار ! أما الغزلان فكانت تجرى أمام الفيلة ، وهى تقفز قفزات واسعة ، تشبه فى ذلك الخيول وهى تجتاز السدود ! وقد لمح «عارف» ثعباناً ضخماً عاتياً ، أشبه بخرطوم الحريق ، كان يلتفّ حول جذع شجرة ضخمة معمّرة . فنبّه «عارف» «جابو» إليه فقال له : هذه «أَصَلَة» ضخمة ، وهى لو

قابلت النمر لالتفّت حوله ، **وهصرت** عظامه ، وابتلعته بأكمله !

وعندما وصلوا إلى موقع الماشان ، اعتلى كلّ من كريشنا وشانكار ماشاناً ، وهو يحمل بندقيته : فى حين اعتلى «ماجد» والمغامرون الثلاثة وسمارة الماشان الثالث . . وهم عزّل من السلاح !

أما «جابو» فقد ودّعهم وتمنىّ لهم حظّاً طيباً ، داعياً لهم بالسلامة ! وبعد أن أوصاهم بكتم أنفاسهم ، وعدم التحرك . خصوصاً «عالية» ، إذا ما عنّ لها أن تهبط من فوق الماشان للبحث عن النمر ! . . وعاد مع والده وباقى الرجال بالأفيال إلى المعسكر . على أن يرجعوا إليهم ثانية عندما يشرق أول خيط من خيوط الشمس فى الأفق .

كان الموقف رهيباً بالنسبة للمغامرين الهواة فى أولى تجاربهم . ويا ليت الرهبة كانت فى سكون الغابة المخيف ، بل فى أصوات الحيوانات وهى تتصارع فى ظلام الليل . المتوحش منها يفترس الأليف ، والأليف يفرّ ويصرخ ويستغيث ! والبقاء فى الغابة للأقوى ! . وأحياناً تكون الغلبة للأدهى !

وكانت «عالية» ترتجف من الرعب ، وتقول فى نفسها : إنها أول مرّة تتعرض لمثل هذا الموقف وتشعر بكل هذا الخوف .

لم يكن فى وسعهم أن يفعلوا شيئاً ، حتى السّعال والعطس حرموا

منها ! هذه ليست مغامرة ! بل مخاطرة وليس لها مثيل . .

ظلّوا فى أماكنهم كالمومياوات لا حراك فيها ، ساعة وراء أخرى ! حتى انتصف الليل أو كاد . وكانت عيونهم تتجه نحو أرض الغابة المظلمة بين الأشجار والحشائش ، لعلّهم يكتشفون كُرتى الضوء المشعّ !

وعلى حين فجأة ، أمسكت «عالية» بذراع «عامر» ، وأشارت له على مكان تحت شجرتهم مباشرة ، ولا يبعد عنهم أكثر من خمسة أمتار ! وإذا بهم يشاهدون الكرتين الخضراوتين المضيئتين ، وكأنهما نجمتان تتلألآن فى الفضاء !

إنه النمر أتى إلى حتفه بظلفه ! ليجهز على ضحيّته !

وإذا بدوىّ يصمّ الآذان يملأ فراغ الغابة ، انخلعت له قلوبهم ، وارتعدت له فرائصهم . وبالنمر وهو يقفز فى الهواء عالياً حتى تجاوز حدّ الماشان ، وزئيره يعلو على صوت دوّى الرصاصة . ثم صوت ارتطام جسمه الذى زلزل الأرض تحت أقدامهم !

ساد السكون لحظة ، لم يكن يسمع فيها غير صوت حشرجة النمر . ثم أعقبه صوت «كريشنا وشانكار» وهما يتصايحان عبر الماشان بلغتهما غير المفهومة . ثم صاح عليهم كريشنا قائلا : لا تتحركوا . والزموا أماكنكم !

أما الآن وقد زال عنهم التوتّر . وذهب الخطر ، فقد أخذ الجميع يضحكون ويتسامرون ويتحركون . ولكنهم كانوا يلزمون أماكنهم على الماشان !

حتى انبلج ضوء الفجر ، وبان الخطّ الأبيض من الخطّ الأسود ، وإذا بهم يرون تحت أقدامهم الوحش الصريع ، يرقد على الحشائش لا حوْل له ولا قوة ! فصاح كريشنا من الفرح : إنها فرصة العمر ! ياله من نمر بنغالى عظيم !

وصاحت «عالية» ياله من حيوان جميل ! يا من لى بجلده الثمين !



الفقير الهندى



وصل «ماجد» والمغامرون إلى «شاليمار» بعد الظهر. وكادت «عالية» تطير من الفرح والسعادة ، بعد أن نسيت رعب الليلة الماضية ، إذ وعدها كريشنا بأن يهديها جلد النمر ، بعد سلخه ودباغته ! أخيرًا .. لقد تحققت أمنيتها الغالية . !

وسوف تتيه وتزهو على أصدقائها فى مصر بالبالطو الأنيق الذى سترتديه . وستقول لهم أيضاً .. إنها اشتركت فى صيده ! ! ولو أنها متأكدة من أنهم لن يصدّقوها ! ..

وبعد أن تناولوا قليلاً من الفاكهة ، وكانوا يفضّلون منها «البابايا» ، التى أطلقت عليها «عالية» اسم «الشمّام الهندى» ، ناموا مباشرة حتى فجر اليوم التالى ! ..

وفى السادسة صباحاً ، كان «جابو» يرابط كالعادة فى مكانه بالحديقة ، وهو يحمل فى يده «اللوّتا» المملوءة باللبن الطازج

مقدّس ! . .

جلس الخمسة يتحدثون بحماس شديد عن مغامرة الأمس الفريدة . أما جابو فكان هادئاً لا تثيره مثل هذه الأمور التى تعوّد عليها ، فهى عنده مثل الطعام والشراب !

قال «عامر» : لقد ذكرت لنا يا «جابو» بالأمس أن هناك معبداً هندوكيًّا مهجوراً وسط الغابة ! فأجابه : نعم : ! . . ولكنى لم أدخله ! وكريشنا صاحب ، وشانكار صاحب ، يقولان إنه آيل للسقوط ، ويحذّران الجميع من القرب منه ! وقالا لى ذات مرّة : إذا اقتربت منه يا جابو ، فسوف يهدم على رأسك ! فقال له عامر : وهل صدّقتهما ؟ فأجابه : لا ! . . لم أصدقهما ! لأنى أذهب بالقرب منه ، وأحوم حوله ، فلم يقع حتى الآن على رأسى ! ! . .

أخذ عامر يتحدث إلى عارف وعالية وسمارة باللغة العربية ، حتى لا يفهمه جابو ، فقال لهم : لابدّ أن هناك سرًّا خطيراً يكتنف هذا المعبد . وأن هناك مؤامرة خبيثة تحاك حوله ! وأن كريشنا وشانكار ضالعان فيها ! وهما يتحاشيان جابو لئلاّ يبوح بسرّهما ، أو يكشف عن نواياهما الخفيّة ! فقال له عارف : إن رائحة المغامرة تشتمّ من كلامك هذا يا عامر ! مالنا ومال معبد هندوكى يقع وسط غابة موحشة ! تكتنفه الشبهات والمؤامرات ، وتحوم حوله الأفيال والحيوانات !

فقاطعته عالية قائلة : لم يقصد عامر أن يلقى بنا وسط مغامرة جديدة . إنه يقصد فقط أن نزور معبداً هندوكيًّا زيارة بريئة ! ! من باب العلم بالشىء ! أليس كذلك يا عامر ؟ فأجابها عامر وهو يبتسم : طبعاً . . هذا هو ما قصدته ! . .

وأخيراً نطق «سمارة» وقال : على كل حال . . سواء كانت مغامرة . . أو مخاطرة . . أو زيارة بريئة . . فإنى أعتقد أننا جميعاً نتحرّق شوقاً إلى هذه الزيارة ! إن عاجلاً وإن آجلاً . فلماذا نؤجّل عمل اليوم إلى غد ؟ . . ما رأيكم فى أن نذهب اليوم إلى المعبد ؟

° ° °

وبعد ساعة كانت «سيتا» فى طريقها إلى المعبد ، والمغامرون فوق ظهرها ، «وجابو» يتربّع على رأسها .

وكان «عامر» قد تسلّح بمنظاره ، وبآلته الفوتوغرافية ، وبعدستها المقرّبة التى ابتاعها أخيراً خصيصاً للهند ، وبحبله الطويل الذى يلتفّ حول وسطه ! . .

كان المعبد يقع على بعد خمسة كيلومترات داخل الغابة ، قطعتها «سيتا» فى ساعة ، فهى تعرف كل خطوة فى طريق المعبد !

وكان المعبد مقاماً فى مكان مكشوف غائر منخفض من أرض الغابة ، تحوطه المرتفعات والأشجار الكثيفة الباسقة من

جميع الجهات !

وفجأة انكشف المعبد أمامهم بأبراجه العالية ، وحوائطه الضخمة ، وبوابته التى تحاكى بوّابات الحصون المنيعة ! وقفوا مشدوهين أمام هذه الأبراج التى كانت تزيّنها الآلاف من التماثيل الدقيقة المنحوتة فى الصخر . وكانت هذه التماثيل تمثل الآلهة والآلهات ، والراقصين والراقصات ، والبقر والثيران والأفيال والقرود والخيول والعربات .

قالت « عالية » وهى توجّه حديثها إلى « عارف » : وما وجه المخاطرة فى أن نزور مثل هذا المعبد الرائع ! كنت على وشك أن تحرمنا من رؤيته !

ولكنها توقّفت عن الحديث فجأة ، وجذبت يد عامر ، وقالت : انظر يا عامر ! ما هذا ! هناك بعيداً أمام بوّابة المعبد ! فأخرج عامر منظاره ، وصوّبه فى الاتجاه الذى أشارت إليه عالية ، وقال بدهشة : إنى أرى شيئاً عجيباً ! أغلب الظن أنه فقير هندى ! ! لقد رأيت صوراً مماثلة فى إحدى المجلاّت . . إنه كالهيكل العظْمىّ ! وشعر رأسه وذقنه يتهدل حتى وسطه ! . . إنه يلطّخ وجهه وجسده برماد أبيض ، حتى صار لونه كالثعبان الأرقط ! وهو جالس على لوح من الخشب لا يتحرك ! ولكنى أرى عينيه واضحتين وهما زائغتان تبحثان



رأى عامر . . فقيراً هندياً . . جالساً على لوحٍ من الخشب .

فى أرجاء المكان !

ثم أعطى منظاره إلى جابو ، وقال له : انظر يا جابو : هل رأيت هذا الفقير من قبل ؟

نظر جابو مليًّا إلى الفقير من خلال المنظار ، ثم قال : كلا ! إنى لم أره من قبل ! . . وعلى كل حال فهذه الغابة ، شأنها ككلّ غابات الهند ، تمتلئ بالرجال القدّيسين ، وبالمتأمّلين ، وبالفقراء الهنود !

وسألت عالية أخاها عامر أن تنظر بدورها إلى هذا الفقير الهندى . فهى لم تر فقيراً هنديًّا من قبل ، أو حتى صورته فى كتاب أو مجلّة . وبينما هى تنظر إليه وتتعجّب لهذا الهيكل البشرى العارى الملطّخ بالرماد ، إذ بها تصيح قائلة : إنه ينهض . . ويتمطّع ، وكأنه ملّ من الجلوس ! إنه يسير ويتلفّت يميناً ويساراً ! . . وها هو ذا عاد وجلس القرفصاء كما كان !

قال عامر : لقد قلت إن شيئاً غامضاً يجرى فى هذا المكان ! فردّ عليه عارف : هذا ليس من شأننا ! . .

وبعد تفكير ، تنحنح عامر وقال : ما رأيكم لو راقبنا هذا الفقير؟ إنى أشك فى أمره ! ما رأيك يا عارف ؟ . فنظر عارف إلى وجوههم فوجد عليها سيماء القبول ، فقال على الفور : وهل تظن أنى سأتخلّى عن المجموعة ؟ . ولما عرض عامر الأمر على جابو قال : أنا

و«سيتا» تحت تصرّفكم إلى النهاية !

تطلّع عامر إلى ما حوله ثم قال : يبدو أن هذا الفقير يراقب المعبد ! أو ربما هو ينتظر أحداً ! فيجب علينا أن نختفى عن الأنظار ! عليك يا جابو أن تخفى «سيتا» بعيداً ، وأن توصيها بالسكون ! وأنت يا عارف ، تسلّق هذه الشجرة مع سمارة . أما أنا فسأتسلّق هذه الشجرة مع عالية وجابو ! وسنهبط من فوق الشجر فى تمام الساعة الواحدة ، لنتقابل فى هذا المكان !

تسلّق عامر الشجرة الضخمة بصعوبة ، إذ كان عليه أن يساعد عالية . أمّا جابو فقد تسلّقها كالقرد فى لمح البصر ! . وما كادت عالية تتربّع على فرع سميك ، حتى التصقت بأخيها عامر ، وهى تشير له إلى فرع قريب : ها هى ذى القرود يا عامر ! فضحك جابو وقال لها يطمئنها : إنها لا تؤذى . . لأن أحداً لا يؤذيها ! والقرود تعوّدت علينا . . وتعوّدنا عليها ! . . وهى ربما تظنّنا الآن من أبناء عمومتها ! . .

أما سمارة فقد وقع بصره على ببغاء جميل كبير الحجم ، ذى أربعة ألوان برّاقة . آه لو كانت هذا الببغاء فى متناول يده ! لما توانى لحظة عن الإمساك به ! إنه يليق تماماً بزاهية . . . ترى ماذا تفعل زاهية الآن وهو بعيد عنها ! لابد أنها تفتقده !

وكان عامر يصوّب منظاره إلى الفقير ، وبجواره وضع آلته الفوتوغرافية ، بعد أن زوّدها بالعدسة المقرّبة . من يعلم ! ربما احتاج إليها !

وبعد ساعتين من الانتظار المملّ ، نهض الفقير فجأة وتطلّع إلى الطريق المنحدر الذى يصل التلّ بالمعبد ! ثم أخذ يصدر إشارات بيده ، تدلّ على أن الطريق خالٍ !

ثم ظهرت فى أعلى التلّ عربة يجرها ثور ، قال جابو إنها عربة والده ، وكان يمتطيها رجلان ، لم يتبيّنهما عامر حتى وصلا أمام المعبد . ولما ظهرت صورتهما واضحة أمامه ، هتف قائلاً : إنهما كريشنا والمهراجا ! ! .

ترجّل كريشنا والمهراجا من العربة وتحدثا طويلاً مع الفقير الهندى . وعندئذ وضع عامر منظاره جانباً ، وأمسك بآلته الفوتوغرافية فى يده استعداداً للتسجيل . ثم توجّه الاثنان ودارا حول المعبد برفقة الفقير . . واتجها نحو البوابة الضخمة وعايناها ، وفحصا أجزاءها بدقّة . وبعد انتهائهما من ذلك ، أخرج كريشنا حافظة نقوده ، ونفح الفقير مبلغاً من المال !

وكان عامر يسجلّ عليهما تحرّكاتهما بعدسته المقرّبة ، خطوة . . فخطوة ! . .

هبط المغامرون – وقد انضم الآن جابو إليهم – من فوق الأشجار بعد انصراف العربة ، وبعد أن عاد الفقير الهندى إلى نقطة مراقبته ، وجلس القرفصاء كأى فقير هندى متعبّد !

ولما ذهب جابو لإحضار «سيتا» من مخبئها ، قال عامر : يبدو لى أننا على أبواب مغامرة خطيرة ! ما كان أغنانا عنها ! ولكن الظاهر أن المغامرات تفرض نفسها علينا فرضاً ! ونحن الآن فى البداية ، ويمكننا أن نقف عند هذا الحدّ !

صمت الجميع عن الكلام لفترة ، إلى أن قالت عالية : ولكن حتى الآن لم نر المعبد من الداخل ! هل من المعقول أن نأتى إلى الهند ، ولا نزور معبدًا ؟ . وقال عارف : إذا كان الأمر كذلك ، فلا بأس أن نأتى غدًا ، ونحاول دخول المعبد . ولابدّ أن جابو سيدلنا على طريق سهل للدخول ! وقال سمارة : سهل أو صعب . . لن يقف أىّ حائل فى سبيل دخولنا . إن المعبد جميل يستحق المشاهدة !

أما عامر فلم ينطق بكلمة . إذ كان قد صمّم على دخول المعبد ، حتى ولو اضطرّ إلى اقتحامه بمفرده ! . .

داخل المعبد الهندوكي



كان ماجد يجلس مع المغامرين ، يتناولون طعام الإفطار ، وإذا ببرقية عاجلة تصله من السفارة المصرية ، تستدعيه لكي ينضم إلى وفد رسمي وصل إلى العاصمة لإجراء مباحثات مع الحكومة الهندية المركزية . كان عليه أن يغادرهم فوراً ، على وعدٍ منه بأن يرجع إليهم خلال أسبوع على الأكثر . وقبل أن تتحرّك به السيارة ، أوصاهم بالتعقل والرزانة ، وعدم التهوّر ، وبأن يبتعدوا ما أمكن عن الغابة والشقاوة ويكفيهم ما قاسوه فى تلك الليلة الليلاء التى قضوها متعلقين ساهرين على الماشان !

وقبل أن تغيب السيارة عن العيون ، لاح لهم جابو وهو يمتطى «سيتا» ، جاء ليأخذهم إلى المعبد حسب اتفاق الأمس ! وكان يحمل لهم سلّة من المانجو الهندى الفاخر ، قطفها بنفسه من حديقة يملكها والده ، وهو على ظهر «سيتا» !

وما إن رأتهم «سيتا» حتى أدّت لهم السّلام والتحية بخرطومها ،

وهزّت ذيلها ورأسها فى فرح وسعادة !

وبعد ساعة كانوا يقفون فى مكان مرتفع يكشف لهم المعبد . وكان الفقير الهندى مازال فى مكانه ، يجلس القرفصاء ، وهو يتطلّع ذات اليمين وذات اليسار .

قال جابو : إنى أعرف طريقاً دائرياً فى الغابة يؤدى إلى الأسوار الخلفية للمعبد . ومن هناك يمكننا أن نتسلق الجزء الصغير الباق من السّور ، من فوق ظهر «سيتا» . وتسلّقه سهل ، حيث يمكننا أن نتشبث بالزخارف البارزة والتماثيل ! وعلينا بالحذر من الثعابين ، فالمعبد مهجور ! ولكن لاتخشوا شيئاً ! لقد أخذت احتياطى لذلك ، فأتيت بهذه العصاة !

وهنا أبرز لهم عصاة تنفرج نهايتها إلى فرعين قصيرين . فقالت له عالية : هل ستضرب الثعبان بهذه العصاة ؟ فأجابها سمارة ، وهو الخبير بثعابين وحيّات الصحراء الغربية حول مسقط رأسه بمرسى مطروح : كلاّ ! . لو فعل ذلك لهاجمه الثعبان وقتله بسمّه ! إنما هو يتسلل وراء الثعبان ، والثعبان أصمّ ضعيف البصر ، ويضع العصاة وراء رأسه مباشرة ، بين هذين الفرعين القصيرين ، ويغرسها فى الأرض بقوة ! ثم يقبض على الثعبان من رقبته ، ومن ذيله ثم يضربه فى الأرض بشدّة ، فتتفكك عظام عموده الفقرى ، ويُقتل فى

الحال ! . . وهى طريقة سهلة كما ترين يا عاليه ! فضحكت عالية وقالت له : سهلة عليك أنت يا سمارة ! ! . .

ولما وصلوا إلى السّور الخلفىّ ، قال لهم جابو : سنترك سيتا هنا ، ونتسلّق السور ونهبط إلى حَرَم المعبد . وأنا لا أعرف ما بداخله فلم أره قبل الآن ! ويجب علينا أن نعود سريعاً قبل أن يكتشفنا أحد ، وخصوصاً كريشنا صاحب والمهراجا . . أو الفقير ! وإلاّ فالويل لنا !

وقفت بهم سيتا بجوار السور ، ثم أخذ جابو يهمس لها فى أذنها ، ويربت على رأسها بحنان ، وهو يوصيها بالانتظار والهدوء وعدم الصياح ! ثم قفزوا بخفة ورشاقة وهم يتسلّقون الزخارف والتماثيل البارزة ، حتى وقفوا على حافة السور . ومن هناك دلّى عامر حبله الطويل ، ونزلوا إلى أرض المعبد الحجرية .

وما إن خطت عالية أولى خطواتها ، حتى صدرت عنها صيحة مكتومة ! فقد رأت بنظرها الثاقب ثعباناً أرقط طوله متر ونصف متر فى ركن من الأركان . وكان على بعد قريب منه عصفور صغير . كان الثعبان ساكناً لا يتحرّك ، وهو ينظر إلى العصفور بعينيه المستديرتين . والعصفور المسكين ينتفض وهو لا يقوى على الحركة أو الطيران . وكان المغامرون يرقبون الثعبان وهو يصوب نظراته النفّاذة المغناطيسية إلى العصفور . حتى يطيب له الوقت المناسب عندما يشعر بالجوع

لابتلاعه !

تقدّم جابو ببطء وحذر خلف الثعبان ، ومدّ عصاته بحرص شديد ، وغرس طرفها المنفرج فوق رأس الثعبان ، وبسرعة البرق أمسك رقبته بيده اليسرى ، وذيله بيده اليمنى ، وضربه فى الأرض بأقصى مافيه من قوّة . فصار الثعبان العاتى فى يده كالحبل المرتخى ! أما العصفور فقد كُتب له عمر جديد ، وطار حرًّا فى سماء الغابة .

ذهب جابو بالثعبان إلى عالية . فجفلت وصرخت وابتعدت عنه . فقال لها : لا تخافى ! سأسلخه لك لتصنعى منه حذاء وشنطة ! قال هذا ولفّ الثعبان حول رقبته !

تقدم المغامرون وسط بهو واسع مملوء بالأعمدة الحجرية . وكانت حوائط هذا البهو مزيّنة بالنحت الجدارى البارز والشقوق تبدو فيها واضحة من أثر الزلزال وكان هناك نحت لبقرة ضخمة بجوارها عجل صغير ، ورجل يحلب البقرة ! فقالت عالية وهى توجه حديثها إلى جابو : هكذا تفعل أنت ياجابو كل صباح ! إن هذا الرجل يحلب اللّبن المقدّس ! فأجابها جابو بخشوع ! إنه الإله «كريشنا» رب الأرباب ، وراعى البقر المقدّس !

كانوا مأخوذين بروعة هذه النقوش التى تمثل العذارى الجميلات ، والراقصين والراقصات ، والفيلة ، والجياد والعربات ،

ومناظر المعارك ، والأقزام ، والشياطين ، والقصص الأسطورية !

وقد لفت نظرهم أن بعض هذه النقوش قد نزع من مكانه . فقالت عالية وهى تدقق النظر فى أحدها : إن هذا النقش منشور بآلة حادة ! وما زالت آثار النشر الحديث ظاهرة للعيان ! وقال جابو : إنهم لصوص المعابد . . وهى مهنة رائجة فى جميع أنحاء الهند ! . وقال عارف : ولكن كيف تمكن هؤلاء اللصوص من دخول هذا المعبد ؟ فأجابته عالية وهى تضحك : كما دخلناه نحن ! فاستدرك عارف . . أقصد كيف تمكنوا من نقل هذه اللوحات فهى ضخمة ، والأسوار عالية ، والباب مغلق بالمتاريس الحديديّة !

لم يجدوا حلاً لهذا اللغز ، حتى وصلوا إلى بهو متوسط الحجم . وهناك فوجئوا بوجود العشرات من هذه اللوحات الجدارية تستند إلى الحوائط ، وكانت مرصوصة باعتناء الواحدة بجوار الأخرى ! . فقال عامر إنها هنا فى انتظار الشحن فى الوقت المناسب . أما كيف ستخرج من المعبد ، وكيف ستنقل خارج الغابة ، فهو لغز يجب علينا أن نصل إلى حله ! وقال سمارة : وأن نعمل أيضاً على إيقاف هذا العمل الإجرامى ومنعه ! وقال جابو : إن الحكومة الهندية تتعقّب هذه العصابات القوية ، وهى تخصص الجوائز الثمينة لمن يكشف لها عنها ! . . فقالت عالية : هذه فرصتنا الذهبية ! فنحن الآن فى

أعقاب عصابة خطيرة . وقال عامر : هناك شكٌ كبير فى أن يكون كريشنا والمهراجا يترأسان هذه العصابة ! فأجابه عارف : قد يكون هذا صحيحاً ! ولكن أين هو الدليل المادىّ ! فقال سمارة : هذا هو ما سوف نحصل عليه قريباً !

تابعوا السير إلى أن دخلوا فناءً واسعاً ، وجدوا به الكثير من التماثيل الضخمة ! وما كادت عالية تشاهد أحدها حتى صرخت من الفزع .

كان التمثال يصوّر امرأة تبثّ صورتها الرعب فى القلوب ، بأنيابها الطويلة الحادة المدبّبة ، وشعرها المنفوش ، وعقدها المنظوم من الجماجم البشرية ! فصاحت عالية : من هذه المرأة المخيفة ياجابو؟ . فأجابها جابو والخوف يرتسم على وجهه : هذا هو تمثال « كالى » إلهة الشرّ ! إنها قادرة على إيذائنا ، ونحن نعبدها لأننا نخافها ، ونحاول أن نتّقى شرّها !

وكان بجوار « كالى » المخيفة ، تمثال ضخم آخر . كان يمثل رجلاً ذا أربع أذرع ، وهو يرقص على قدم واحدة ، فى حين كان يرفع القدم الأخرى فى الهواء ، ويقبض بكفّه على شعلة من النار؟ وكان يطأ بقدمه اليسرى طفلاً صغيراً ! فقال لهم جابو : هذا هو تمثال الإله « شيفا » ، وهو الحامى ، والخالق ، والمدمّر فى الوقت نفسه !

وهو يتخذ مع زوجاته أشكالاً وصوراً مختلفة ! ويظهر على الأرض كلما دعت الحاجة لإنقاذ البشرية من الهلاك ، وهذا التمثال يمثله صورة « ناتاراج » أى إله الرقص ! وهذا الإله يعبده جميع الراقصين والراقصات المحترفين فى الهند ! .

وكان بجواره تمثال ضخم لثور يبرك على الأرض ، وتحيط برقبته وجسده عقود من الأجراس الصغيرة ! فسألته عالية : وما هذا الثور الجميل يا جابو؟ فأجابها : هذا هو الثور « ناندى » . وهو المطيّة المقدّسة للإله « شيفا » وتجدينه يجاور هذا الإله فى جميع معابده !

وهكذا كانت التماثيل الكبيرة الحجم تتراص فى البهو ، وجابو الخبير يتولى شرح ما خفى عليهم منها ! وأخيراً قال : والآن هيّا بنا إلى حَرَم المعبد المقدّس .

قال هذا وتوجّه بهم إلى حجرة مظلمة صغيرة الحجم ، وما كادوا يدخلونها حتى توقفوا فجأة ، وقد انعقدت ألسنتهم عن الكلام ! فقد شاهدوا تمثالا متوسط الحجم ، يتصدّر الحجرة وهو موضوع على المذبح فى هيكل صغير ! وكان ينبعث من التمثال ضياء يخطف الأبصار ! كان التمثال من الذهب الخالص المرصّع بالأحجار الكريمة النادرة ، وهو فى صورة رجل مترهّل يحمل رأس فيل ! . . هو الإله « جانيش » إله الحكمة . . ومزيل العقبات ! ! . .

قال عامر بعد صمت طويل : لابد أن اللصوص يعلمون بوجود هذا التمثال الثمين ! وقال عارف : إنهم سيحاولون الحصول عليه بأى ثمن ! فيجب علينا اتخاذ الحيطة والحذر !

وقال سمارة : هل هذه الحجرة هى حَرَم المعبد؟ ولماذا هى ضيّقة ؟ فهى لا تسع جماهير المصلّين ! فأجابه جابو : وما الداعى إلى ذلك ! إننا لا نصلى جماعة كما تفعلون أنتم ! فكل هندوكى يصلى لآلهته منفرداً ، على حسب هواه ، وكما يشتهى !

وأخيرا قال لهم جابو ، وهو يستحثهم على سرعة مغادرة المعبد : لم أكن أعلم أن المعبد يحتوى على كل هذه الكنوز التى لا تقدّر بثمن ! والآن يجب علينا الرحيل بسرعة ، فمثل هذا المعبد لابد أن يكون هدفاً لكبار لصوص المعابد ، وهم أخطر أنواع اللصوص ! فهم يجمعون الملايين من تجارتهم هذه ! ولا يقف فى سبيلهم عائق أو قانون ! وقال عامر : أنت على حق يا جابو ! لابد أن هؤلاء يراقبون هذا المعبد ليل نهار . . لئلاً يسبقهم إليه أحد ! وقال سمارة : ولو اكتشفونا لما خرجنا من هنا أحياء . وقالت عالية وهى ترتجف : أنا لا أريد أن أدفن فى معبد هندوكى ! . ، فضحك الجميع على قولها هذا . . ماعدا جابو ، الذى لم يفهم ماذا تعنيه ! . . وقال عارف : وماذا بعد أن نغادر المعبد ؟ إننا لم نصل إلى نتيجة ! هل تقصدون أن نتخلّى عن

هذه المغامرة ، وقد أوشكت على نهايتها ! أم أننا سنكمل المشوار ! .

فأجابه عامر : المهم أولاً أن نخرج من هنا ، وأن نصل سالمين إلى « شاليمار » وهناك سوف نفكر معاً فيما يجب عمله !

* * *

أخذوا يتسلقون الحبل الواحد تلو الآخر ، وهم يتشبثون بالتماثيل البارزة فى الحائط ، حتى وقفوا على أعلى السور . وهناك وجدوا « سيتا » فى انتظارهم . وما إن رأتهم حتى رفعت خرطومها بالتحية ، وأبدت فرحها الشديد بهم بهز ذيلها بعنف ، والدبدبة بأقدامها الثقيلة على الأرض . وكان جابو يشير إليها بأصبعه بألا تصدر صوت النفير العالى ، علامة على استقبالها الحارّ لهم ! وإلا لكانت فى ذلك نهايتهم ، فصوتها سوف يرنّ صداه فى أرجاء الغابة الكثيفة الواسعة !

تنفّس المغامرون الصعداء وهم يعتلون ظهر « سيتا » ولما وصلت بهم إلى التل المرتفع الذى يربض المعبد فى سفحه ، أخرج عامر منظاره وصوّبه نحو المكان . ولكنه مالبث أن صاح : ماهذا ! إنى أرى عجباً ! . . ثم أعطى منظاره إلى جابو ، وقال له : انظر يا جابو إلى هذا الشخص الذى يجلس أمام المعبد . إنه أصلع ، حليق الذقن ، إنه ليس الفقير الهندى الذى يراقب المعبد !

كان جابو يتأمل هذا الشخص ، وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة ،

ثم قال : هذا الشخص الذى آراه هو « جوبتا » وهو من الأشقياء الخطرين فى هذه الناحية ، وجميع السكان هنا يخافونه ويرهبونه !

فقال عامر : وأين ذهب الفقير الهندى ؟ أيكونون قد استبدلوه بهذا الشقى !

وأخيراً طلبت عالية من جابو أن يعطيها المنظار . ولكنها ما كادت تتطلع إلى الشقىّ « جوبتا » هذا ، حتى صاحت بدهشة وقالت : انظروا جيداً ! إنى أرى إلى جواره باروكة شعر ، ولحية طويلة ! إنه هو بعينه الفقير الهندى ، بعد أن خلع شعره ولحيته ! ولكنه لم يخدعنا ! والآن تأكدنا أن فى الأمر سرًّا خطيراً . . ما فى ذلك شكّ !! . .

غادرت بهم « سيتا » المكان وهى تسرع الخطى ، كأنما هى تدرك الخطر المحدق بهم وكانوا يتناقشون فى الطريق فيما يجب عليهم عمله !

فقال عامر : نحن الآن على أبواب مغامرة من نوع جديد ، ليس من السهل علينا أن نجازف بزجّ أنفسنا فيها ! فنحن هنا وسط أدغال الهند الكثيفة ، ولسنا فى بلدنا مصر . ونحن لا نعلم شيئاً عن تقاليد الناس هنا . . أو عادات اللصوص ، والأفيال ، والقرود ، والثعابين ، والفقراء الهنود . فنحن هنا تحت رحمة الغابة ! فما رأيكم ؟ هل نكفّ أيدينا عن هذه المغامرة الآن ؟ فقاطعته عالية

قائلة : وهذا التمثال الذهبى المرصع بالجواهر الفريدة ! . هل نتركه نهباً للصوص !

صمت الجميع ولم يجيبوا . . وكان سكوتهم علامة الإيجاب ! وعلى رغبتهم فى الاستمرار إلى النهاية فى استجلاء خفايا لغز المعبد الغامض ! والكشف عن عصابة لصوص المعابد الخطيرة !

تعاهد الجميع على الاحتفاظ بهذا السرّ فى صدورهم ، لا يبوحون به إلى أحد ، حتى يصلوا إلى النتيجة الحاسمة . وتعهّد جابو أن يبذل أقصى مافى وسعه من مساعدة . وكان جابو يتكلم بطبيعة الحال نيابة عن « سيتا » أيضاً !

ثم تركهم جابو ليرجع إلى بيته لتحضير العلف إلى « سيتا » وليصطحبها إلى حمّام المساء فى النهر المجاور. وقال لهم مودّعاً : سأكون عندكم باكر فى السابعة صباحاً . .



« السفارى » الغامضة



عامر

وصل جابو مبكراً وهو يمتطى فيلته الرشيقة ، وكان يحمل لهم اللبن الطازج المقدّس كعادته كل صباح ، وجوزة هند لكل منهما ! ولما اجتمع شملهم فى الحديقة ، قال لهم جابو إن والده أخبره أن كريشنا والمهراجا طلبا استئجار الفيلين « أشوك » و « كيشا » ، وعربتين وثورين !

فسأله عامر : ولماذا ؟ هل اكتشفا نمراً جديداً فى الغابة ؟ فقال جابو : لا أعتقد ذلك ! فالنمر المفترس حيوان نادر ، وهو ليس كالثعالب والغزلان والخنازير البريّة الخطيرة التى تملأ الغابة ، وإننا نشك كثيراً فى هذه « السفارى » فسألته عالية : وما هى « السفارى » فأجابها : « السفارى » هى « رحلة صيد » ! وقال عارف : وممّ ترتابان ! فكريشنا والمهراجا اعتادا مثل هذه السفارى ، فقال جابو : إن أبى يشكّ كثيراً فى نواياهما ، لأنهما سيدخلان الغابة ليلاً ! ولما طلب منهما

أن أصطحبها بفيلتى «سيتا» بدلاً من الفيل «أشوك» الذى انتابته حالة من الهياج المفاجئ، رفضا بشدّة!

قال سمارة: على كل حال نحن لسنا فى حاجة إلى دليل جديد يدمغها نضيفه إلى ما لدينا من أدلة! ولكن المهمّ الآن هو ماذا نستطيع أن نفعله؟ وما هى خطوتنا القادمة؟ فقالت عالية: ما دام كريشنا والمهراجا سيبدآن السفارى ليلاً، فأمامنا متسع من الوقت للتفكير! أما الآن فإنى أقترح أن نذهب إلى «سملا» لشراء ما نحتاج إليه من تذكارات عن الهند! فقال عامر: هذا تفكير سليم! لماذا نضيع الوقت! ما رأيك يا جابر أن تأخذنا «سيتا» إلى سملا؟ فأجابه جابر: ستكون «سيتا» سعيدة جدًا. فهى تحب أن تتجوّل فى «سملا» وهى تزاحم الأبقار و«الريكشا» فى شوارعها الضيقة، والأطفال يطعمونها بالموز والفواكه! وقال عارف: وبعد عودتنا من سملا نستريح قليلاً استعداداً لدخولنا الغابة قبل حلول الظلام. وقالت عالية: حيث نكون فى انتظار كريشنا والمهراجا! وما دامت «سيتا» معنا فلا خوف علينا.. فهى تعرف طريق العودة فى الظلام إلى «شاليمار»!

* * *

وما إن سمعت «سيتا» كلمة «سملا» حتى هزّت ذيلها فرحاً،

وأطلقت «زمّارة» عالية من خرطومها، وابتسمت – هكذا خيّل إليهم – فالفيل تظهر عليه ملامح الابتسام عندما يكون سعيداً!..

صعدت بهم سيتا الجبل العالى فى طريقها إلى سملا، وكانت تتوقف من آن إلى آخر بجوار إحدى الأشجار المورقة، لتقطف منها بعض الفروع الخضراء اللذيذة لتأكلها.. أو تستجيب لنداء طفل فى يده موزة أو خسّة، تتناولها منه بعد أن تقدّم له الشكر والتحية بخرطومها الطويل!.. وهكذا حتى وصلوا سملا.

بركت بهم سيتا بجوار حانوت كبير يعرفه جابر.. وجاءت جلستها على الأرض بجوار بقرة كانت تبرك بجوارها. فأخذت سيتا تتلمّسها بخرطومها، مقلّدة فى ذلك ما يفعله بعض الهندوك من لمس الأبقار تبرّكاً وتيمناً. وكان المغامرون يضحكون على فعلتها هذه! أما جابر فلم ير فى ذلك ما يوجب الضحك!.. فهو بالنسبة له شيء عادى!..

دخلوا الحانوت الكبير، وكانت أعينهم تزوغ فيما احتواه من سلع جميلة نفيسة.. وكان كل منهم يعرف تماماً ماذا يريد قبل أن يدخل الحانوت. أما جابر فكان يدلى إليهم بالنصح فى اختيار ما ينتقونه.

وأخيراً تحقق حلم عالية الجميل فى الحصول على السارى الأخضر المطرّز بخيوط «الجارى» – أى خيوط الذهب والفضة – والصندل

المحلى بالرسوم الهندية الدقيقة ، وبعض الحلىّ الهندية التقليديّة .

وابتاع عامر « كورتا بيجاما » ، وطاقية للرأس ! وهو اللّباس الجميل للمسلمين فى الهند . وكان عبارة عن قميص أبيض طويل من القطن الشفّاف ، مفتوح الصدر ، ذى أكمام فضفاضة ، ومطرز بأشغال الإبرة الدقيقة . وسروالا أبيض واسعاً من القطن ، وطاقية بيضاء مطرزة بخيوط الذهب ، ومركوب أبيض يشبه القارب ! . .

ولم ينس أن يتزوّد بمجموعة من كتب الحيوانات والطيور ! . .

وكم كانت سعادة عارف عندما وضع على رأسه العمامة الحريرية الضخمة ، التى تزيّنها ريشة وزجاجة ملوّنة ! وجاكتة حريرية حمراء طويلة ، مقفولة الرقبة ، وسروال ضيّق أزرق ، ومركوب مزركش ! لاشكّ أنه يحاكى الآن أعظم المهراجات شياكة وقيافة !

أما سمارة فكان لا يطمع فى أكثر من قفص كبير جميل . سوف يضمّ الزوج المنتظر لزاهية الداهية ! والذى قرر أن يطلق عليه اسم « جابو » تيمناً باسم صديقه الجديد . .

ولم ينسوا بطبيعة الحال جابو . فابتاعوا له مظلّة سوداء ، لتحميه من شمس الصيف اللاذعة ، وأمطار المنسون الجارفة ، يستظل بها وهو يمتطى رأس « سيتا » العالية !

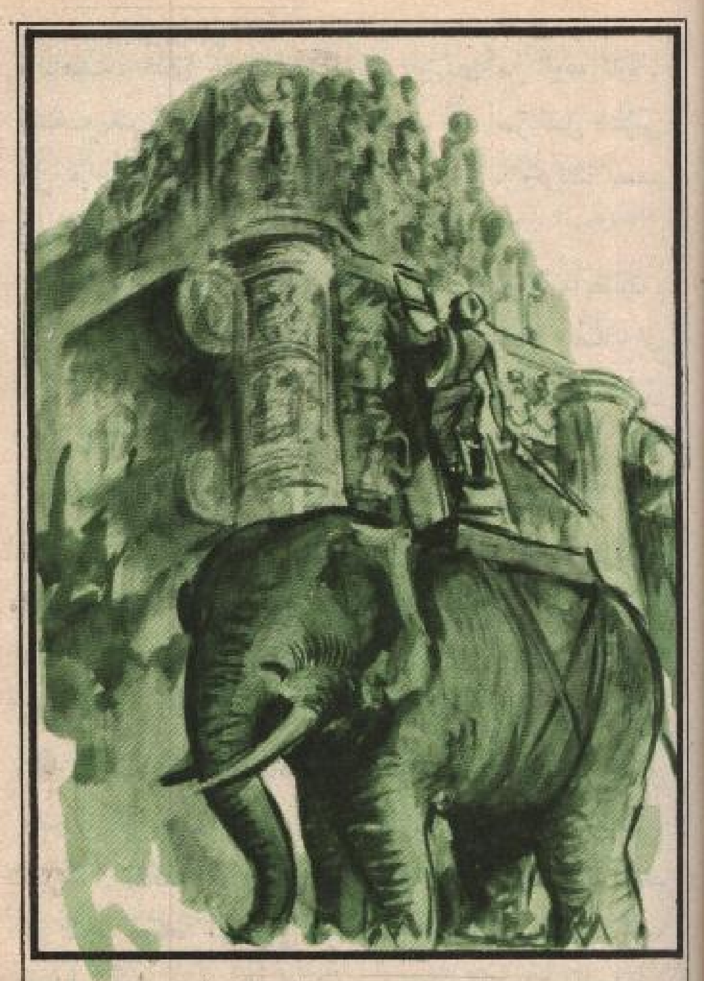
أما « سيتا » فكانت أسعدهم جميعاً ، وهى تحمل بخرطومها

« لبشة » ضخمة من عيدان القصب ، ابتاعوها لها من حقل مجاور وهم فى طريق العودة إلى « شاليمار » ، إنها سوف تأتى عليها فى طرفة عين قبل أن تأوى الليلة إلى فراشها ! ! . .

وقبيل المغرب ، وبعد أن تأكد جابو من ميعاد رحيل قافلة كريشنا والمهراجا إلى قلب الغابة ، كانت سيتا تحمل المغامرين إلى موقع المعبد .

وكانت خطتهم تقضى بأن يتسلق عامر وعالية شجرة فى مواجهة المعبد ، وعارف وسمارة شجرة أخرى مجاورة قريبة . وذلك حتى يسهل على أى فريق منهم نجدة الفريق الآخر ، إذا ما دعا الدّاعى ولاح الخطر ! أما جابو فكانت مهمته التربّص بين الأشجار على ظهر « سيتا » ، ومراقبة الجدار الخلفى للمعبد ! وكان الاتفاق بينهم التزام الصمت التام . . مهما يحدث ، ومهما تكن الظروف !

وكان عامر يتسلّح بمنظاره ، يصوّبه إلى حيث يجلس الفقير الهندى — أو الشقى المجرم « جوبتا » — فى مكانه المعهود . وكان « جوبتا » قلقاً لا يثبت على حال ، ينهض واقفاً ، ثم يتطلّع فى اتجاه الدرب المنحدر الموصل إلى المعبد . وقبل حلول الظلام رآه عامر وهو يخلع عن رأسه باروكته ، وعن ذقنه لحيته المستعارة ! فقال عامر لعالية : إنى أرى هذا المجرم قلقاً . . لابد أن ميعاد وصول القافلة قد



اقتاد « الماهوت » الفيل « كيشا » الهادئ بجوار السور

قرب .. وأنهم مقدمون على عمل خطير ! .. لقد خلع باروكته ولحيته استعداداً للعمل ! ..

وكان الصمت يسود أركان الغابة ، إلا من أصوات متفرقة تأتى من بعيد ، يتضخّم صداها فى سكون الليل البهيم . ولم يكن يضايق عالية ، ويبث الرعب فى قلبها ، غير عراك القرود وصياحها على الفروع المجاورة . وكانت تفكّر طول الوقت : ماذا لو ظنّتها القرود قردة مثلها وقفزت على رأسها لتتعارك معها ! ..

وفجأة ظهرت العربتان على مشارف الدّرب ، والفيلان « أشوك وكيشا » يمتطيهما كريشنا والمهراجا . وكانت القافلة تُرى على ضوء مصباح قوى تحمله إحدى العربات . وقد شاهد عامر بجلاء من خلال منظاره سلّماً خشبيًّا طويلاً على ظهر العربة ، وبجواره كوم عال من الحبال المتينة ، ومنشار ضخم .

وما لبث أن سطع الضوء القوى حول المعبد من مصابيح وبطاريات كبيرة . وكان المغامرون يشاهدون ما يجرى أمامهم ، وكأنهم يشاهدون عملية اقتحام عسكرية لأحد الحصون المنيعة . وكان العمل يجرى بهمّة وسرعة ودقة تبعاً لخطة مدروسة . وكان كل من بقافلة اللصوص ينفّذ ما نيط به من عمل ، عدا الفيل « أشوك » ، الذى كان يسبّب لهم المتاعب بهياجه وصياحه . وكان

« الماهوت » الذى يلازمه يسوسه برفق ويهدئ من روعه تارة ، وينخسه بعنف تارة أخرى ، دون جدوى ، فقد أصرّ الفيل الشرس على هياجه وعصيانه . وكانت الأصوات تتعالى ، وكريشنا يصدر تعليماته لأفراد عصابته .

قال عامر لعالية : لو كان جابو معنا الآن لفسّر لنا ما يقولون . ترى ماذا يفعل جابو الآن ؟ إنهم لو اكتشفوه لاختفى عن أبصارنا إلى الأبد . . مسكين جابو . إنى أشعر بالذنب لأننا استدرجناه معنا إلى هذه المغامرة الخطيرة .

كان العمل يجرى على قدم وساق حول المعبد . فقد اقتاد « الماهوت » الفيل « كيشا » الهادئ بجوار السور العالى تحت أحد أبراج المعبد الكثيرة . ووضع السلّم الخشبىّ الطويل فوق ظهر الفيل ، فوصل إلى حافة البرج العالى . وكان يحمل بيده المنشار الضخم ، وتتدلى من على كتفه حزمة من الحبال . ثم شرع فى ارتقاء السلّم بخفّة ، وتسلّق البرج برشاقة القرد ، وأخذ فى نشر أحد التماثيل الحجرية التى تضمّ الثالوث الهندوكى المقدّس : راما ، وفيشنو ، وكريشنا . وهكذا أخذ فى نشر عدد كبير من التماثيل الصغيرة الواحد تلو الآخر . وكان كلّما انتهى من فصل أحدها عن البرج ، حزمه بالحبال وأدلى به إلى الأرض ، حيث يتلقّفه كريشنا والمهراجا ،

ويضعانه باعتناء على إحدى العربات ، ويواريانه بالقشّ الذى أتيا به معهما .

همست عالية فى أذن عامر ، وهى تنظر بدهشة إلى جرأة هؤلاء اللصوص : إنهم لو استمرّوا على ذلك لجرّدوا الأبراج والأسوار من تماثيلها الجميلة ، ولصارت كالصخر الأملس لا قيمة لها !

وكان عارف وسمارة يربضان فوق الشجرة المجاورة ، يتعجّبان بدورهما لهذه الجرأة العجيبة . وقال سمارة : ولكن كيف سيدخلون المعبد ؟ وكيف سينقلون تماثيله ولوحاته الجداريّة الضخمة ؟ وكيف سيسحبونها فوق هذا التل المرتفع ليخرجوا بها من الغابة ؟ إن الثيران لا تقوى على سحبها ! فأجابه عارف : لا أدرى ! . . وهذا ما سوف نراه الآن ! إن هؤلاء اللصوص العتاة قد دبّروا أمرهم بعناية . وهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذه الكنوز الثمينة ! ولا تنس يا سمارة تمثال الجانيش الذهبىّ المرصّع بالجواهر الكريمة ! إنهم سوف يضحّون بحياتهم فى سبيل الحصول عليه . فضحك سمارة وقال له : وبحياتنا أيضاً لو اكتشفوا أمرنا !! . .

أما جابو فكان يعتلى رأس « سيتا » وهو يوارى وسط الأشجار فى الجهة الخلفيّة للمعبد . وكان كل ما يصل إلى سمعه ، أو كل ما يشعر به من أحداث ، هو صوت نشر الحجارة الذى يأتيه من بعيد ، ورنين

النفير العالى الذى يطلقه الفيل « أشوك » . وكان جابو يبذل جهده فى تهدئة « سيتا » وكبح جماحها ، كلما أطلق شقيقها « أشوك » إحدى « زمّاراته » الغاضبة ! وكان جابو يعلم جيّداً لو أن « سيتا » كشفت عن وجودها ووجوده فى هذا المكان ، لكان فى ذلك هلاكه ، وربما هلاك أصدقائه المصريين الجدد ! فكان يهمس فى أذن « سيتا » مستعطفاً لحثها على التزام الصمت والهدوء !

وبعد أن انتهى الرجل من نشر عدد كبير من التماثيل ، هبط إلى الأرض ، وقاد فيله « كيشا » حتى وصل به أمام بوابة المعبدالضخمة المحصّنة ، فى حين قاد زميله الفيل الهائج « أشوك » حتى وقف بجواره !

همس عامر إلى عالية فجأة : لقد وضح الأمر الآن ! . . إن الفيلين سيحطّمان بوابة المعبد ! ! لاشك أن الفيلين قادران على إزاحة المعبد بأسره ! ولن يقف حصن أو عائق أمام نطحات « كيشا » وزميله « أشوك » الجبّار !

وهذا ما حدث بالفعل ! فقد تهشّمت البوابة الحصينة أمام نطحات الفيلين الضخمين ، ووطأة ثقلها الرهيب ، وكأنها صنعت من القش الهش ! ثم دخلت القافلة فى أثر الفيلين إلى ساحة المعبد الداخلية ، يتبعها كريشنا والمهراجا ، وهما ينيران لها الطريق

بالبطاريات القوية !

وعاد السكون والظلام إلى المكان . وكان المغامرون فى حيرة من أمرهم فيما يحدث داخل المعبد ، وهم معلّقون بين السماء والأرض ، فوق الأشجار ، لا يجرءون على إبداء حركة ، أو إصدار صوت !



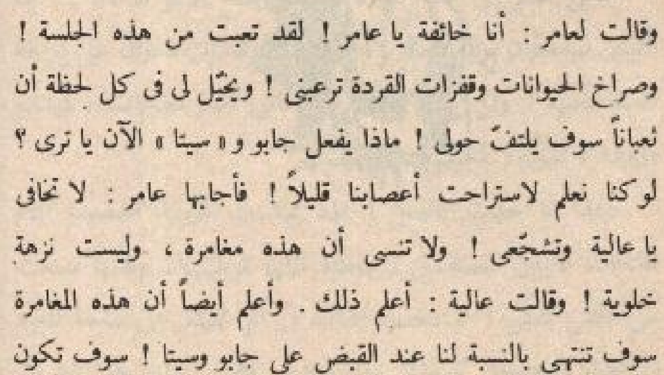
ليلة الرّعب



عارف

ظل المغامرون فى انتظار مرير وهم فى الظلام الحالك . وكانوا لا يرون غير ومضات من ضوء تنبعث من داخل المعبد من وقت إلى آخر . وحديث يأتيهم صداه لا يفهمون له معنى !

مرّت عليهم ساعة وهم على هذا الوضع . وكانت عالية تشعر بالتوتّر والقلق والخوف .



وقالت لعامر : أنا خائفة يا عامر ! لقد تعبت من هذه الجلسة ! وصراخ الحيوانات وقفزات القردة ترعبنى ! ويخيّل لى فى كل لحظة أن ثعباناً سوف يلتفّ حولى ! ماذا يفعل جابو و « سيتا » الآن يا ترى ؟ لو كنا نعلم لاستراحت أعصابنا قليلاً ! فأجابها عامر : لا تخافى يا عالية وتشجّعى ! ولا تنسى أن هذه مغامرة ، وليست نزهة خلوية ! وقالت عالية : أعلم ذلك . وأعلم أيضاً أن هذه المغامرة سوف تنتهى بالنسبة لنا عند القبض على جابو وسيتا ! سوف تكون

هذه آخر مغامراتنا !

هذا صحيح ! .. ماذا لو قبضوا على جابو .. وانتزعوا منه اعترافاً بوجودهم حول المعبد ؟ إنهم قادرون على ذلك بلا ريب .. وماذا سيصيبهم على أيدى هؤلاء اللصوص ؟ إنهم لن يسمحوا لزمرة من الأولاد العابثين الماجنين أن يحولوا بينهم وبين الحصول على هذه الكنوز التى لا تقدّر بمال ، وقد أصبحوا الآن منها على قاب قوسين أو أدنى !

إن نجاتهم الآن معلّقة على جابو وسيتا .. التى سوف تقودهم إلى بر الأمان .. إلى شايمار ! ماذا سيفعلون بدونها ؟ كيف لهم أن يخترقوا الغابة الكثيفة بمسالكها ودروبها ومهالكها فى ظلام الليل ؟ إنهم فى ورطة من نوع جديد لم يختبروه من قبل ! ما كان أغناهم عن الغابات والمعابد .. بل عن الهند بأسرها !

وكان الحديث على الشجرة المجاورة بين عارف وسمارة لا يخرج عن ذلك . وكان سمارة يبدى خوفه على جابو المسكين الذى لا ذنب له ولا جريرة . وقال سمارة لعارف : سأذهب للبحث عن جابو والاطمئنان عليه ! فأجابه عارف ! هل أنت مجنون ! وما الفائدة من ذلك ! إن جابو سوف يظهر بعد قليل . أما إذا كان قد وقع فى أيديهم .. فرحمة الله عليه !

وبينما هم فى هذه المناقشات والمجادلات التى لا طائل تحتها ، إذ بهم يفاجأون بسماع « شوك » و « كيشا » وهما يصدران من داخل المعبد أصواتاً زلزلت أركان الغابة . وتبع ذلك هرج ومرج ، وصرخات الرجال وهى تكاد تغطى على صوت الفيلين الثائرين ! ثم دوى على أثر ذلك صوت « سيتا » وهى تطلق نفيرها المميّز ، استجابة لنداء شقيقها « أشوك » وزميلها « كيشا » !

وكان يصل أسماع المغامرين صوت دبيب أرجل الفيلة الثقيلة الجامحة ، بعد أن فلت زمامها من أيدى الماهوت . . . ومن يد جابو أيضاً ! ! . .

كانوا يتخيّلون ما يحدث تحتهم على أرض الغابة ، وإن كانوا لا يرونه . لقد جمحت « سيتا » ، وجابو على رأسها ، إلى حيث « أشوك وكيشا » !

إنها خاتمة المطاف ! لقد اكتشفوا جابو المسكين وسيتا اللّطيفة . . وما هى إلاّ دقائق معدودات حتى يكونوا هم أنفسهم فى أيدى العصابة !

طال بهم الانتظار ، وقد سلّموا أمرهم إلى الله ، إلى أن هدأت الحال ! مرّت عليهم ساعة وكأنها سنة ، ولكن شيئاً لم يحدث . لا هم علموا ماذا حدث لجابو . . ولا هم شعروا بأحد من رجال العصابة !

أيكون جابو قد تمكّن من السيطرة على « سيتا » ولاذ بالفرار؟ إذا كان الأمر كذلك فهو سوف يرجع لإنقاذهم فى القريب العاجل .

قال عامر : أظن أن جابو تمكّن من الفرار ! فأجابته عالية : ولكن ما العمل إذا كان قد وقع فى أيديهم ؟ .

ليس فى مقدورهم طبعاً أن يفعلوا شيئاً . . وما عليهم إلاّ الانتظار !

وبغتة سطعت الأنوار خارج المعبد . ثم لاحت بوادر القافلة وهى تجتاز البوابة المهشمة ! خرج الثوران فى المقدّمة وكانا حرين طليقين غير مقيدين بالعربات ! ! . . ثم تبعهما فيل يتهادى ! . . ولكن ما هذا ؟ إنها « سيتا » ! ! إنها بدون جابو ! أين هو إذن؟ إنهم لا يرونه فى مكانه المعهود يعتلى رأسها الضخم ! أيكون قد هرب ونفد بجلده من أيدى اللّصوص . . أو هو الآن أسير بين أيديهم !؟

قالت عالية : مسكين جابو ! حتى لو تمكّن من الفرار ، فهو يهيم الآن على قدميه وحيداً فى ظلام الغابة المخيفة ! يا له من شجاع !

ثم تبع « أشوك » شقيقته « سيتا » ، بعد أن لانت شوكته وهدأ ، وعثر عليها أخيراً وأنس إلى وجودها بجواره !

ثم فوجئ المغامرون بأن رأوا « أشوك » وقد حلّ محل أحد الثيران فى جرّ العربة ! كان يجرّ العربة المحمّلة بالتماثيل الضخمة واللوحات

الجداريّة الثقيلة فى سهولة . ثم ظهر بعده «كيشا» وهو يجر العربة الثانية !

والآن لقد وضح الأمر وانكشف السرّ ! لقد استغل اللصوص الأفيال العاتية فى حمل التماثيل ، ونقلها فوق العربات ، واستبدلوا بها الثيران التى لا تقوى على مثل هذا العمل . وكان المغامرون يشاهدون الأفيال وهى ترتقى التلّ المرتفع ، وهى تئنّ تحت الثقل الجبار ، والماهوت ينخسونها بعنف حتى تواصل السير ، حتى وصلت إلى نهاية الدرب المرتفع ، واختفت فى الغابة بأحمالها الثمينة !

ساد السكون أرجاء الغابة ، ولم يعد يسمع فيها غير صياح الحيوانات وزئيرها ، وزقزقة الطيور ، وصرير الحشرات ! إلى أن قطع عامر حبل السكون وقال لعالية : إننا لم نر جابو معهم ! فأجابته : ولا الفقير الهندى أيضاً ! ماذا يفعل هذا الشقى داخل المعبد؟ فقال عامر : ربما كان يحرس ما تبقى من مسروقات . فقالت عالية : وهل تظنّ أن العصابة ستعود لتنقل باقى الكنوز؟ فأجابها : إن العصابة لن تتخلّى عنها ، أو تتركها نهباً لغيرهم من اللصوص !

* * *

لبث المغامرون لا يتكلمون ، أو يأتون بحركة ، حتى انتصف الليل . ولكن لا حسّ ولا خبر عن جابو ؟ وكانت وسائل الاتصال

بين الشجرتين مقطوعة ، وكل من المعسكرين فى عزلة تامة عن الآخر ! ولما فاض الكيل بعالية ، ولم تطق صبراً على مغالبة النوم ومقاومة الخوف ، ابتدأت فى البكاء بصوت مرتفع ! وعندئذ نهرها عامر وأخذ يهمس فى أذنها : ما هذا يا عالية ! هل خانتك شجاعتك ! إن عهدى فيك رباطة الجأش والإقدام؟ لا بأس فلتبكى قليلاً . . ولكن فى صمت ! ! . . وقالت عالية : لابدّ أن نتحرّك . . هل سنعيش فوق الشجر هكذا كطرزان ! ! . . إن كريشنا والمهراجا غادرا المعبد من مدة طويلة ، ولا خوف علينا إذا نزلنا . . ولن أتسلّق شجرة بعد الآن ما حييت ! . . وقال عامر : عندى فكرة ! سنهبط إلى الأرض فى هدوء تام . . ثم نتسلق شجرة عارف وسمارة و . . . فقاطعته عالية : قلت لك لن أطلع شجرة بعد الآن ! . . فضحك عامر وقال لها : فلتكن هذه آخر مرّة يا عالية : لابدّ أن نذهب إلى عارف وسمارة . . وسنتداول فى أمرنا . فقالت له عالية : وما فائدة هذه المداولة ! . . فتابع عامر حديثه قائلاً : إنى أشكّ كثيراً فى أن جابو أسير فى المعبد ، وأن الشقى جوبتا يقوم على حراسته . هذا إذا لم يكونوا قد تخلّصوا منه الآن ! ! . . . وقبل بزوغ الفجر سأترككم إلى المعبد ، وأتسلّل من البوابة المفتوحة إلى الداخل ! فقاطعته عالية وهى ترتجف : لا يا عامر ! إن فى هذا العمل مخاطرة

كبيرة ! إنك ستدخل عرين الأسد بقدميك ! . . فقال لها : ليكن ما يكون ! كيف نترك جابو وحيداً بين يدى هذا المجرم ! . . ربما تمكنت من فك أسره فى آخر لحظة . . فقالت له عالية : وإذا وقعت بدورك فى يده ! ماذا ستفعل ؟ . . وماذا سنفعل نحن الثلاثة بدونك ؟

صمت عامر قليلاً . . وأخذ يفكر فيما قالته عالية . إن مسألة أسره داخل المعبد لم تطرأ له على بال ! حقيقة أنها مصيبة كبرى سوف تحيق بهم جميعاً ! . .

وأخيراً قال لها : المسألة بسيطة ! إن الشقى جوبتا يعلم أننا ننتمى إلى عائلة السلك السياسى الأجنبى فى الهند ، فهو لن يجرؤ على قتلى ! بل سيحتجزنى حتى ينتهى من مهمته داخل المعبد ! وقالت عالية : ونحن ! هل سننتظر فوق الشجرة حتى ينتهى جوبتا من مهمته فى المعبد !! وهى قد تطول إلى يوم أو يومين ! . . فأجابها عامر : لا طبعاً . . عليكم بانتظارى نصف ساعة فقط ، تعودون بعدها فى ضوء النهار إلى « شاليمار » !! . .

فظهرت بوادر الدهشة على وجه عالية وقالت له : نعود إلى « شاليمار » !! كيف ؟ فضحك عامر وقال لها : ماذا تنتظرين ! فى تاكسى !! . . إن درب الفيلة فى الغابة سالك واضح . . وإذا

حالفكم التوفيق سوف تصلون سالمين سيراً على الأقدام بعد ساعتين أو ثلاث ! ثم تعودون لى بالنجدة فوراً . وأرجو أن أكون مازلت على قيد الحياة ! . .

* * *

كان عامر يتحسس طريقه عبر البوابة داخل المعبد . وكانت عيون عالية وعارف وسمارة تشيعه من فوق الشجرة بالدعوات ، وبأن ينجح فى مغامرته الرهيبة !

مرت نصف الساعة . . وامتدت إلى ساعة . . فساعة أخرى ! إنهم لن يتزحزحوا من مكانهم إلا إذا انتابهم اليأس من عودته ! كان الثلاثة يربضون على فروع الشجرة وكأن على رءوسهم الطير . لم تأبه عالية بالقردة وهى تقفز فوق رأسها ! إنها لا تخاف منها الآن ! إنها تخاف على عامر ! ولم يلق سمارة بالاً إلى الببغاء الجميلة ذات الأربعة الألوان التى تحوم حوله ، وكانت فى متناول يده ! إنه يفكر الآن فى عامر ، لا فى الببغاء ، أو حتى فى زاهية ! وعارف تسمرت نظراته ببوابة المعبد لا تحيد عنها ! إنه لا يرى فى هذه الغابة الشاسعة إلا هذه البوابة !

ولكن عامر كان قد دخل المعبد واختفى ! لم يسمعوا له صوتاً بعد ذلك ! ماذا حدث له ؟ هل عثر على جابو؟ هل قابل الشقى المجرم

جويتا ؟ هل أسر؟ هل لدغه ثعبان ؟ .

وأخيراً نطقت عالية والدموع تطفر من عينيها : وما العمل الآن ؟ هل سنترك عامراً هكذا وحيداً لا نعرف مصيره ؟ يجب أن ندخل المعبد لنجدته ، وليكن مصيرنا مصيره ! فقال لها سمارة : لا جدوى من التهوّر يا عالية ! والأجدر بنا أن نتبع تعاليم عامر ونذهب فى طلب العون والنجدة . وقال عارف : وسوف نصل إلى « شاليمار » فى ساعتين ، إذا أسرعنا الخطى ، وكأننا فى مسابقة « لاختراق الضاحية » !



الأسيران !



عالية

كان جابو يراقب الجدار الخلفىّ للمعبد وهو يعتلى رأس « سيتا » . وكانت سيتا هادئه كعادتها ، تستمع إلى نصح جابو لها بالتزام الهدوء والسكينة .

وكان الظلام دامساً ، لا يرى جابو شيئاً مما يجرى حوله . ولكن الأصوات كانت تصل إلى أذنيه .. كما كانت تصل إلى أذنى « سيتا » ، اللتين تشبهان المراوح الكبيرة ! كان يتخيّل ما يدور فى المعبد وهو بعيد عنه ، إذ قد سمع صوت قرقعة البوّابة الضخمة وهى تتهشّم ، ونداءات « الماهوت » التى تحثّ « أشوك » و « كيشا » على الاندفاع بقوّة صوب البوّابة . كما سمع خوار الثيران وهى تصدر من فناء المعبد . وصوت « كريشنا » و « المهراجا » وهما يصدران الأوامر باتخاذ الحيطة والحذر فى نقل التماثيل واللّوحات الجدارية الثقيلة . وكان يتصوّر كيف أن « أشوك » و « كيشا » يتعاونان فيما بينهما على

حمل التماثيل الضخمة ، ووضعها برفق فوق العربات . إنها عملية سهلة على الفيلين الجبّارين ! فالتمثال مهما ثَقُل ، فهو أخفّ وزناً من جذع الشجرة الضخمة المعمرة ، التى يحملها الفيل فى الغابة بخرطومه القوىّ ، وكأنها عود ثقاب !

كان جابو يلزم الصمت وعدم الحركة ، إذ ماذا فى استطاعته أن يفعله ؟ ولكنه كان يفكّر فى أصدقائه المعلّقين فوق الأشجار فى الظلام . وكان يتخيل عالية بصفة خاصة وهى ترتجف من قفزات القرود والسنانيس ! ماذا يفعلون يا ترى ؟ وهل يدركون ما يجرى الآن داخل المعبد ، وما هم فيه من خطر ؟ صحيح إنهم فى مكان يكشف المعبد ، ولكن الدنيا ظلام ، وهم لا يفقهون اللغة « الأردية » التى ترطن بها العصابة ! ولكن أكثر ما كان يثير قلقه ، هو أن يكتشف كريشنا والمهراجا مخبأهم . إن الشقيين لا يتورعان عن ارتكاب أية جريمة فى سبيل الحصول على الكنز الثمين . . الذى أصبح الآن فى حوزتهما ! ! كان يحزنه أنه يعجز عن مدّ يد المعونة إليهم . فأصدقاؤه الآن تحت رحمة اللصوص العتاة ! وكيف له أن يرجع إلى « شاليمار » بدونهم ! ماذا سيقول لوالده . . ولأهل قريته ؟ أيقول لهم إنه تخلّى عن أصدقائه ، وخذلهم ، وفرّ هارباً ! إنه ليس جباناً ، ولكن أحداً لن يصدّق ما يحدث فى الغابة !

وبينما هو فى تأمّلاته ، حدث ما لم يكن يتوقعه . إذ دوى صوت النفير العالى الذى أطلقه « أشوك » ، واختلط بأصوات « الماهوت » وهى تصرخ ، فى محاولة لتهدئة الفيل الثائر الجامح ! واندفعت « سيتا » فجأة بقوة كالسيل الجارف فى اتجاه المعبد ، تلبية لنداء شقيقها « أشوك » ! فأخذ جابو فى إصدار الأمر لها بالتوقّف . ولكنها خالفته ، واستمرت فى اندفاعها الهادر . إنّها المرّة الأولى التى تعصى فيها أوامره ! ودخلت به فناء المعبد ، وهو يتشبّث بأذنيها المفلطحتين ، وإلاّ هوى من فوق رأسها العالى وتهشمت عظامه تحت وطأة أقدامها .

لقد دخل عرين الأسد رغماً عنه ! أوقعته فيه « سيتا » المخلصة وهى لا تفقه ماذا تصنع ، وإلا لما هرعت لنجدة شقيقها الذى ظنّته فى خطر ، يطلب منها النجدة والغوث !

استقبله كريشنا والمهراجا بدهشة بالغة . فلم يتصوروا أن أحداً اكتشف سرّهما ! أيقف مثل هذا الولد عقبة فى سبيل تنفيذ خطتهما الجهنّمية ، وحصولهما على الثروة الخياليّة ؟

أصدر كريشنا أمره إلى الشقى جوبتا أن يتولّى أمر جابو بما يستحق من عقاب صارم ، وأن يتولى حراسته ، بعد قيده فى أحد الأعمدة بإحكام ، وتكميم فمه لمنعه من الصراخ . وأن يلازمه ملازمة الظلّ ،

حتى تنتهى العصابة من نقل الكنوز . . ثم التخلص منه بعد ذلك !
فقد كان على العصابة أن تعود فى الليلة التالية لنقل بعض التماثيل
الثقيلة ، التى لم تتسع لها العربات الصغيرة .

* * *

أما ما حدث لعامر فكان أدهى وأمرّ ! فبعد أن اختفت القافلة
بحملها الغالى الثقيل عن الأنظار ، وهدأ الحال ، ترك عامر عالية فى
صحبة عارف وسمارة ، وهبط من فوق الشجرة بسرعة وهو يسابق
النسانيس ! ثم تسلّل فى حرص شديد نحو بوابة المعبد يبحث عن
جابو ، وهو يحاول إخفاء صوت خشخشة أوراق الأشجار اليابسة التى
تفرش أرض الغابة . وكان يقف من آن لآخر ليتأكد من خلوّ المكان .
وكان يعرف طريقه داخل المعبد جيّداً ، فقد سبق له زيارته . كان
أول ما صادفه هو حَرَم المعبد الصغير . دلف إليه ببطء فوجده خالياً ،
حتى من تمثال الإله « جانيش » الذهبى ، المرصّع بالجواهر الكريمة !
لقد أخذه اللصوص معهم . فأخذ يتجوّل فى أرجاء المعبد ، الذى
بدا له الآن كالخرابة الخاوية ، فلا تماثيل ولا لوحات ولا نقوش أو
زخارف ! كلها انتزعها اللصوص ! ولكنه اكتشف ثلاثة تماثيل
جميلة فى ركن من الأركان ، فأدرك أن العصابة سوف تعود لتنقلها
أثناء الليل . إنها أبدع تماثيل يحتويها المعبد ، وهو لا يتصوّر أن

العصابة ستتخلى عنها ، وتتركها لغيرهم من لصوص المعابد !
وفجأة سمع أنيناً خافتاً مكتوماً يصدر عن قرب ! فتوجه إليه بحذر
ليكتشف مصدره . أهو أنين جابو ؟ أو هى أصوات وهمسات تصوّرها
له رهبة المعبد ؟ أو هو شَرَكٌ نصبه له اللصوص ؟ . . على كل حال
ليس أمامه إلاّ التقدّم لمعرفة مصدر الصوت الخافت المبهم ! سار إلى
الأمام بخطوات مهزوزة ، وكأنه يتوقّع شرًّا مستطيراً . وهذا ما حدث
بالفعل ! فقد فوجئ بيد فولاذية وهى تكمّم فمه من وراء ظهره ،
وبيد أخرى وهى تشلّ حركته !
كان الشقىّ جوبتا يتطلّع إلى عامر وهو يختبئ وراء أحد الأعمدة .
من هذا الغريب الذى يتجوّل بجرأة وحرية فى أرض المعبد ؟ كاد
جوبتا يصعق عند رؤيته ! إنّ هذا الطفل ليس هنديًّا ! إنّه أجنبى !
فمن يكون ؟ وما الذى أتى به وحيداً إلى هذا المكان المنعزل المهجور
المجهول ؟ إن شيئاً غريباً غامضاً يدور حوله ، ويهدّد سلامته وأمنه !
لابدّ أن هذا العفريت جابو يعلم من هو ! وأنه اصطحبه معه إلى المعبد
على ظهر « سيتا » ، وإلاّ لما تمكّن من الوصول سيراً على الأقدام !
وفى لمح البصر ، كان عامر مقيّداً بإحكام فى أحد الأعمدة ،
حتى أصبح هو والعمود قطعة واحدة ! ولدهشته البالغة رأى جابو
مقيّداً فى عمود مجاور قريب . كان جابو منهكاً يكاد يغشى عليه من

الإرهاق ، ومن كثرة ما ناله من ضرب وصفع وركل !

وبعد أن انتهى جوبتا من تقييد عامر ، انهال عليه بالأسئلة المتلاحقة . وكانت الدهشة مازالت تتملك عامراً من هذه المفاجأة المريرة ، فلزم الصمت . وحتى لو كان فى وعيه لما أجابه ! فهو لا يفهم رطانته ! فصفعه جوبتا صفعة قوية ترنح لها ، ثم تركه إلى حيث يقف جابو . وأخذ فى التحدث إليه ، وهو يركله ويصفعه بقسوة وعنف . فأدرك عامر أن جوبتا يستجوبه ليتعرف منه على هذا الدخيل الأجنبى الذى اقتحم حرمة المعبد ! ولكن جابو الشجاع المخلص آثر تحمّل الأذى على الاعتراف والإيقاع بصديقه ، وتحمّل الآلام حتى أغمى عليه !

كان قلب عامر ينفطر من الحزن والأسى على جابو ، وهو عاجز عن تقديم العون إلى صديقه . ولكن ماذا يمكنه أن يفعله له ؟ إن يديه مغلولتان مثله ، ولو حدث له هو ما يحدث لجابو ، لما تمكّن الأخير من إنقاذه أيضاً ! فهما فى نفس المأزق ! ولكنه حمَد الله أن جوبتا لم يجرؤ – حتى الآن – على إلحاق الأذى الشديد به ! ربما كان الشقىّ يخشى من مغبّة عمله هذا ! إنه لا يعتقد ذلك ! بل من المحتمل أن الأوان لم يحن بعد لاستجوابه وتعذيبه ! وأنه فى انتظار «كريشنا صاحب» ليتفاهم معه بلغته التى لا يفهمها هو !

إنه فى حاجة إلى معجزة لإنقاذه ! ولكنه كان يفكّر فى عارف وعاليه وسمارة ، وهم رابضون بين السماء والأرض ! ماذا يا ترى تفعل عالية الآن ؟ وهل اكتشفت العصابة مخبأهم ؟ إنه لا يظن ذلك ، فقد انصرفت العصابة بحملها الثمين ، وجوبتا لا يعلم عنهم شيئاً ! إن حياته الآن معلّقة على وصولهم سالمين إلى «شاليمار» ! ولكن كيف لهم الوصول إليها سيراً على الأقدام وسط هذه الغابة الموحشة ؟ إنه يدعو الله ألاّ يهاجمهم حيوان مفترس ، أو قطيع من الخنازير البرّية المخيفة ، أو حتى جماعة من القرود والنسانيس ! مسكينة عالية ! سوف تدمى ساقاها من الأشواك ! إن أمامها ثلاث ساعات من السير المتواصل وسط الأحراش . صحيح إن الطريق واضح ، ولكنه شاق وعر . ولكن ماذا لو ضلّوا سبيلهم ؟ ! إنه لا يريد أن يفكّر فى ذلك الآن ! ! . .

وأخيراً حلّ به الإرهاق الشديد . وكانت الحبال تحزّ فى معصميه وساقيه فتؤلمها . وكان يشعر بالجوع والعطش ، وعلم بترموس المياه المثلّجة الذى تركه مع عالية ! إنه فى نظره الآن أثمن من كل ما فى المعبد من ثروات وكنوز ! ! . . وعلى كل حال فإن جوبتا قد افترش الأرض وراح فى سبات عميق ، فلا فائدة من سؤاله ، فلن يناوله هذا الشقى جرعة ماء ، حتى ولو مات أمامه من العطش !

ولما طال الانتظار بعارف وعالية وسمارة ، ويئسوا من وصول عامر وجابو ، قالت عالية : هل سنقف هكذا مكتوفى الأيدى ! لابدَّ أن نفعل شيئاً ! فأجابها عارف : إن دخلنا المعبد وراء عامر ، فسيكون مصيرنا مصيره . هناك شىء غامض يجرى بين جدران هذا المعبد ! وقال سمارة : سنختار أهوَن الشرّين ! وهو اختراق الغابة ومحاولة الوصول إلى «شاليمار» والرجوع بالنجدة» ، ونرجو من الله أن نصل لها قبل فوات الأوان ! ليس أمامنا من سبيل غير ذلك ! وقال عارف : ولكن الطريق شاق وطويل ومخيف ! هل تتحمّلين يا عالية السير فى هذا الدرب الشائك ؟ فقالت عالية : ما باليد حيلة ! ليست هذه بالمرّة الأولى التى يواجهنا فيها مثل هذا الموقف العصيب ! سأتحامل على نفسى . . ولا تنسيا أننا لم نذق طعم النوم طيلة الليلة الماضية ! وإذا كان جابو يخترق هذا الدرب وحيداً ، فهل نعجز عنه نحن الثلاثة معاً ؟ فأجابها عارف : ولكن جابو يخترقه على ظهر «سيتا» وليس على قدميه ! فهو ابن الغابة . . لقد نشأ فيها ، ويعرف كل شجرة فيها ، ولا ينقصه إلاّ أن يحادث كل حيوان بلغته ! ! . .

وهكذا بدأ الثلاثة سيرهم فى هذه المغارة المخيفة ، وهم يتهالكون على أنفسهم من التعب والإرهاق . . والخوف . كان عارف يقود الطابور ، تتبعه عالية ، ثم سمارة . وكان السكون الرهيب يخيم على

أرجاء الغابة ، وابتدأ الضوء يشق طريقه خلال الأشجار الكثيفة ، وتتخلّل ذلك بعض الأصوات الغريبة من وقت إلى آخر . كانوا يتعرّفون على بعض هذه الأصوات ، فهذا هو صياح القرد ، وذاك عواء الذئب . أما هذا الصوت فهو غير مألوف لديهم ، جديد على أسماعهم ! ربما كان لجاموس برّى ، أو لتيتل ضخم ذى قرون متشعّبة متشابكة ، أو لحمار وحشى مخطط ! . . ولكن ماذا يهمّ كل ذلك الآن ؟ حتى لو كان الصوت لفهد أو ببَر أو نمر مفترس ! ليس أمامهم من سبيل إلا متابعة السّير قُدُماً . تدفعهم إلى ذلك الرغبة فى إنقاذ أخيهم عامر ، وصديقهم جابو . ولم تكن عالية تأبه أو تفكّر فى هذه الأصوات الدخيلة المخيفة ، قدر اهتمامها بتفادى العوائق والأشواك وفروع الأشجار المتدلّية كالثعابين . لقد تمزقت ثيابها ، وبرزت أصابع أقدامها من حذائها ، وسال الدم من ساقيها وذراعيها ووجهها . مسكينة عالية ! ما كان أغناها عن هذا العذاب ! إنها سافرت إلى الهند للتمتع بمباهجها وعجائبها وغرائبها ، وللتزود ببعض نفائسها ، من السارى البديع ، إلى الحلىّ الهندية الجميلة . ولم يكن فى بالها أن يزج بها القدر فى مثل هذه المغامرة ! إنها ليست كالمغامرات السابقة ! إنها مغامرة حقيقية . . سوف تنتهى بهم جميعاً إلى أوخم العواقب ! ! . .

كانوا يتبعون آثار الفيلة الواضحة ، فهذه هي آثار أقدامها العريضة الثقيلة . . وهذه هي الأشجار التى جرّدتها الفيلة من فروعها وأوراقها الخضراء . وكانت عالية تتعثّر وتتكفىء على وجهها ، فيعاونها عارف وسمارة على النهوض ومتابعة السير . ولكنها كانت مع ذلك صابرة متجلّدة ، لا تشكو مما يصيبها من آلام أو أوجاع . كله يهون فى سبيل النجاة وإنقاذ الأسيرين العزيزين . . عامر وجابو . .

امتدّ بهم الوقت وطال . . وهم على هذا المنوال . ربما إلى ثلاث أو أربع ساعات ، فلم يكن للوقت عندهم اعتبار . . المهم أن يصلوا سالمين إلى شاليمار ! ! . .



حملة الإنقاذ



سمارة

وأخيراً وصلوا إلى مشارف الغابة ، بعد أن كاد اليأس يصيبهم . إنهم لا يصدّقون أنهم اجتازوا طريق المهالك ! أهى حقيقة أو خيال ؟ بل هى الحقيقة ! فها هو ذا كوخ جابو يبدو لهم من بعيد .

اقترح عارف أن يتوجّهوا رأساً إلى كوخ جابو لعلّهم يعثرون عليه . . فمن يدرى ؟ لعله تمكّن من الفرار ! ولكنهم وجدوا المكان خالياً ، فلا أثر لجابو أو لوالده ، أو للفيلة الثلاثة ! فقالت عالية : لابد أن يكون جابو الآن أسيراً فى المعبد مع عامر ، والفيلة مع كريشنا والمهراجا ! وقال سمارة : سأذهب الآن بالقرب من منزل كريشنا ربما اكتشفت شيئاً . فقال له عارف : ولكن احترس لئلا يراك كريشنا أو المهراجا . . أو « سيتا » فتدلّ على مكانك ، فهى سوف تُهلّل لرؤيتك وتطلق نفيرها ، إيذاناً بمقدمك ! سننتظرك هنا

فأسرع !

رجع سيارة بعد قليل وأخبرهما أنه شاهد كريشنا والمهراجا والفيلة وهى ما تزال تنقل بعض التماثيل داخل فناء المنزل . وسألته عالية : وهل رأيت «سيتا» ؟ فأجابها : نعم . . ولكنها كانت لا تشترك مع «أشوك وكيشا» فى حمل الأثقال ! بل كانت تقف بعيداً . . وكانت تبدو قلقة ! وتتطلع هنا وهناك وعيونها زائغة ، كأنها تبحث عن شىء ! فقالت عالية ! مسكينة «سيتا» ! إنها تبحث عن جابو ! وربما عنّا أيضاً ! . . الحمد لله أنها لم ترك !

واصلوا السّير إلى «شاليمار» القريبة ، حيث كانت تنتظرهم مفاجأة سارّة ! فقد وجدوا ابن عمهم وهو فى انتظارهم ! وكان «ماجد» قد وصل منذ لحظة من العاصمة نيودلهى ، بعد أن أنجز مهمته هناك . ولما لم يجدهم فى المنزل اعتقد أنهم فى إحدى جولاتهم بالمدينة !

أصابته الدهشة عندما شاهد الثلاثة وهم مقبلون نحوه ، وكأنهم خرجوا لتوّهم من عراك مع وحش مفترس ! والدماء تسيل من كل جزء من أجسامهم !

انعقد لسانه عن الكلام ، عندما ارتمت عالية فى أحضانه وهى تجهش بالبكاء . إنه عجز عن فهم ما يدور حوله ! ما هذا الذى

جرى لهم ! إنه سمع الكثير عن مغامراتهم ، ولكنه لم يكن يتصوّر أن يصل بهم التهوّر إلى هذا الحدّ !

وبعد أن كفّت عالية عن البكاء ، نطق ماجد وقال : أين عامر ؟ وما الذى حدث لكم ؟ فأجابته عالية : عامر أسير ، فقال ماجد بدهشة : أسير ! ! ومن أسره ؟ أكنتم تخوضون معركة حربيّة ؟ . . فقال عارف : لقد قبضوا عليه مع جابو داخل المعبد ! فقال ماجد : وما الذى ذهب بكم إلى هذا المعبد ! ومن قبض عليه ؟ ولماذا ؟

قصّ عارف ما حدث لهم بالتفصيل منذ أن غادرهم ماجد إلى العاصمة ، حتى وصوله إلى «شاليمار» . ثم أضاف : والآن يجب الإسراع فى إنقاذ عامر ، وإلا قتله الأشقياء مع جابو داخل المعبد !

أخذ ماجد يضرب كفًّا على كفّ وهو يتمتم : والآن فقط صدّقت كلّ ما كان يرويه لى والدكم عنكم !

* * *

سأل ماجد «البيرر» – الخادم – أن يذهب به إلى مدير الشرطة . ثم قال لهم قبل أن يغادر «شاليمار» : سأذهب إلى مدير الشرطة للإبلاغ بما حدث . وأرجو ألاّ تشرعوا فى مغامرة جديدة قبل أن أعود إليكم !

وهنا فى مدينة «سملا» ، أخذ ماجد يقصّ على مدير الشرطة

ما حدث بالتفصيل . وبعد أن سُجِّلت أقواله فى محضر رسمى ، قال له مدير الشرطة : إننا كنا نشكّ منذ مدة طويلة فى تصرّفات «كريشنا» أكبر تجار العاديات فى الهند . وكذلك فى المهراجا «شانكار» ، الذى لم نعثر له على سجلّ فى تاريخ مهراجات الهند ! وكانت قوات الأمن تضعهما تحت المراقبة المستمرة . ولكنهما كانا يفلتان دائماً من هذه المراقبة . وكان يصعب علينا أن نتتبّعهما فى السّفارى المريبة التى يقومات بها ليلاً داخل الغابة ! ولكنّنا لم نكن نتصوّر أبداً أنهما يسعيان وراء كنوز هذا المعبد الثمينة . كما كنا نظن أن هناك استحالة فى إخراجها من المعبد ، ونقلها إلى حيث هى الآن . ولكن بفضل المصريين الأبطال فقد تكشّفت لنا الأمور . ثم طلب مدير الشرطة من ماجد أن يصطحبه معه فوراً إلى «شاليمار» ، لسؤال الثلاثة الصغار ، وللتزوّد منهم بالتفصيلات الدقيقة ، بصفتهم شهود عيان .

* * *

وعندما انصرف ماجد إلى «سملا» ، بدأ الثلاثة الصغار فى استبدال هندامهم ، وتضميد الخدوش التى كانت تركش أبدانهم ووجوههم . ثم جلسوا تحت البواكى فى «الفراندة» الواسعة التى تلتفّ حول المنزل . وكان النسيم عليلاً ، يتخلّل ستائر القشّ التى تحجب

الحرارةَ والبرد والمطر ، فتهبّ عليهم منها رائحة عطرة زكية كلما رشّوها بالمياه !

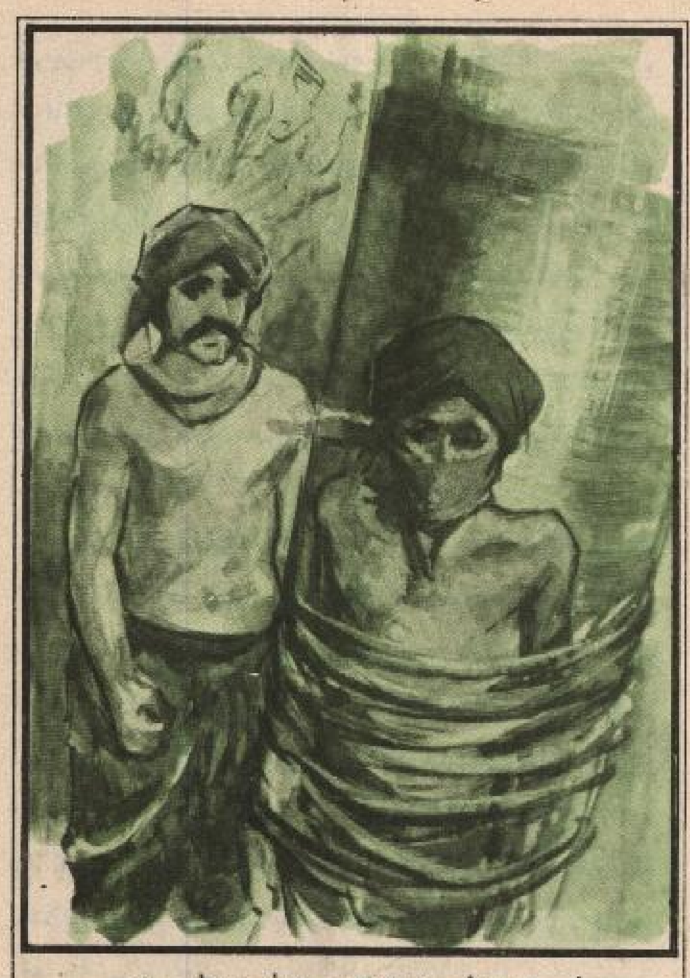
وبينما هم يتناقشون فيما بينهم عمّا يجب الإدلاء به من أقوال أمام مدير الشرطة ، إذ به يصل فجأة مع ماجد .

كان المدير يستقلّ عربة «جيب» وبجواره ماجد . وتتبعه أربع عربات مماثلة ، محمّلة بثمانية من الجنود المدجّجين بالسلاح والمدافع الرشّاشة ! وكان مدير الشرطة طويلاً ، عريض المنكبين ، تزيّن وجهه لحية كثّة ، وتتوّج رأسه عمامة حمراء ضخمة مجدولة ، تخفى شعره الطويل المسترسل ، ويضع فى معصمه حلقة معدنية ! وقبل أن يقرئهم السلام ، صاحت عالية : صباح الخير يا مستر سنج ! ! . .

فضحك المدير وقال : أرى أنكم تعرفون الآن الكثير عن الهند !

قال هذا وقد أخذته الدهشة وهو يتطلّع إلى هؤلاء الصغار بإعجاب فالعمل الذى قاموا به لا يقوى عليه إلاّ الأشداء المخاطرون ذوو البأس ! ولكنه لو كان يعلم ما سبق أن اجتازوه من مغامرات ، لما اندهش وتعجّب !

قال **مدير الشرطة** : أنا لا أكاد أصدّق أنكم قمتم بهذه المجازفة وسط غاباتنا وأدغالنا المخيفة ، ولم يمض عليكم هنا أيام ! فردّت عليه عالية على الفور : إذا كنت لا تصدق ، فدليلنا على ذلك أخى


أصدر كريشنا أمره إلى الشقىّ «جوبتا» أن يتولى أمر «جابو»

عامر الأسير داخل المعبد . لقد رأيناهم وهم يقتحمون البوّابة ، بعد أن حطّمها «أشوك وكيشا» ! فقال المدير : ومن هما «أشوك وكيشا» ؟ أنا لا أعرف أحداً هنا بهذا الاسم ! فأجابته عالية : هما الفيلان اللّذان يملكها والد جابو ! . . وقال عارف : كما رأينا كريشنا والمهراجا وهما ينقلان التماثيل ، ومن بينها التمثال الذهبى للإله «جانيش» ! فضحك المدير وقال : وحتى الجانيش عرفتموه ! ! . .

وقال سمارة : ثم اندفعت «سيتا» فجأة ودخلت المعبد . فبدت الدهشة على وجه المدير وقال : سيتا ! ! . . ومن هى «سيتا» ؟

فقالت عالية : هى الفيلة الجميلة التى يركبها جابو . . وهى تحبّنا كثيراً ! فضحك المدير وقال : لا غرابة فى أن تقع سيتا فى حبّكم !

كان الثلاثة الصغار يندفعون فى الكلام كالسّيل ، ومدير الشرطة يستمع إليهم فى سكون ، وهو بالكاد يتتبع حديثهم ، وسير الحوادث وتواليها .

قال عارف : اندفعت «سيتا» فجأة داخل المعبد تلبية لنداء شقيقها «أشوك» ، وكان جابو يعتلى رأسها ، ثم اختفى بعد ذلك ! ولما ذهب عامر لنجدته لحق به هو الآخر . وهذا يعنى أن أحداً من العصابة مازال يختفى فى المعبد . ونحن نشك فى أنه المجرم جوبتا !

فقال المدير وقد اتسعت حدقتاه : جوبتا ! ! . . إنه من أخطر

المجرمين ، ونحن نجدّ فى أثره منذ مدة طويلة ، ولكننا لا نعثر له على أثر ! إن حياة أخيكم وجابو فى خطر داهم ! ولابدّ من الإسراع فى إنقاذهم . وقالت عالية : وإذا كان جوبتا مازال يحتجز عامراً وجابو حتى الآن داخل المعبد ، فهذا دليل على أن العصابة ستعود ثانية إلى المعبد هذه الليلة ، لتجرّده مما تبقّى فيه من كنوز ! فقال المدير : هذا كلام منطقى معقول ! ولكن كيف وصلتم إلى «شاليمار» . فأجابته عالية بزهو وفخر : سيراً على الأقدام . كانت رحلة لا تنسى ! ولكننا اجتزناها بسلام . ولم يكن يضايقنا فيها إلاّ وخز الأشواك ، ومعاكسات القردة والسنانيس ، ومزاحها الثقيل !

صمت مدير الشرطة قليلاً ثم قال : هذه هى خطة القبض على العصابة ! ستتوجه قبل حلول الظلام فى حملة لمحاصرة المعبد ، والتسلل إليه أولاً لإنقاذ عامر وزميله جابو ، والقبض على المجرم جوبتا . ثم انتظار قدوم «كريشنا» و«شانكار» ، ذلك المهراجا المزيّف ، والأفاق المحتال الكبير ! أما الآن فسوف تأخذون قسطكم من الراحة والنوم إلى أن يأزف الميعاد ، فأمامكم مهمة شاقة خطرة ربما استمرت حتى منتصف اللّيل . إنكم سوف ترافقون الحملة كأدلاء ومرشدين ، لأنكم تعرفون المعبد وخفاياه أكثر منّا ، فما من أحد منّا صال وجال فى هذه الغابة مثلكم !

بدأت الحملة سيرها قبل حلول الظلام فى الساعة الخامسة بعد الظهر . وكانت الخطّة تقضى بأن تصل إلى الموقع فى ثلاثة أرباع الساعة من السير البطئ ، ثم محاصرة المعبد ، واقتحامه ، والقبض على الشقىّ جوبتا ، وفكّ أسر عامر وجابو . كما كانت تقضى التعليمات بعدم استعمال آلات التنبيه ، والسير ببطء وحذر والتزام الصمت التام ، وعدم إطلاق الرصاص حتى فى حالة اعتراض حيوان مفترس للقافلة ! ! . .

وكان يقود القافلة مدير الشرطة تجاوره عالية ، تتبعه سيارة تحمل عارفاً ، ثم سيارة ، ثم ماجداً فى المؤخرة .

وفى الوقت المحدّد وصلت القافلة فى مواجهة المعبد . وكانت عالية تدلّ مدير الشرطة على الطريق الدائرى الذى يلتفّ حول المعبد ، والذى لا يعرفه إلا جابو «وسيتا» . . وهُم ! . ثم أشارت له إلى الدرْب الضيّق المؤدّى إلى السّور الخلفىّ ، وقالت له : يجب حراسة المعبد من الخلف ، فهو السبيل الوحيد لفرار جوبتا ! . .

أصدر مدير الشرطة أوامره إلى إحدى السيارات بالتوجه إلى الطريق الذى أشارت إليه عالية ، والتربّص تحت الأسوار . وبأن يبدأ الهجوم على المعبد فى تمام الساعة السادسة ، وبعدم استعمال المدافع الرشّاشة داخل المعبد إلاّ للضرورة القصوى ، وذلك حرصاً على حياة



خرج كريشنا معهم لصيد النمور

الأسيرين !

وفى تمام السادسة ، وهى ساعة الصفر ، تسلّل ستة من الجنود الأشداء عبر البوابة بقيادة مدير الشرطة . فى حين تجمّع المغامرون فى سيارة تحت الحراسة المشدَّدة من أحد الجنود .

ولم تستغرق العملية أكثر من خمس دقائق . فقد كان جوبتا مستغرقاً فى نوم عميق ، مطمئناً وهو لا يدرى بما يجرى حوله من أحداث ! ولكنه صحا من غفوته على فوهة مدفع رشّاش تصوّب إلى قلبه ، وإلى صوت مدير الشرطة وهو يصيح فى وجهه : وأخيراً وقعت فى الفخّ يا جوبتا ! . .

أمّا الأسيران فقد كانا موثقين فى الأعمدة ، وهما فى حالة يُرثى لها من الجوع والعطش والألم . وما كاد يفكّ الجنود وثاقهما حتى تهالكا على الأرض ، وهما يئنّان من الإرهاق والتعب .

وما كادت عالية تلمح أخاها عامر وهو يخرج من بوّابة المعبد المحطّمة ، حتى عدت نحوه وارتمت بين أحضانه وهى تبكى من الفرح . وكانت تحمل له الماء المثلّج وبعض الفاكهة والطعام . والتف الجميع حول جابو المسكين ، وقد كست وجهه وجسده الرضوض والجروح والكدمات ، من أثر الصّفعات والضرب المبرح الذى ناله على يدى جوبتا .

أما جوبتا فقد كان مكبل اليدين بقيد حديدى لا حول له ولا قوة ، يقوده أحد الجنود أمامه وهو يضع مدفعه فى ظهره . وكان يسير وهو مطأطئ الرأس ذليلاً ، وهو ينظر إلى المغامرين الصغار بعينين يتطاير منهما الشرر !

أقرّ جوبتا بأن «كريشنا صاحب» و «شانكار صاحب» سيصلان فى الساعة السابعة لنقل ما تبقى من تماثيل داخل المعبد . واعترف بأنهما يهرّبان هذه الكنوز إلى ميناء بومباى ، ومنها إلى عملائهما فى الولايات المتحدة وأوروبا ، وأنهما يجنيان من وراء ذلك الملايين من الروبيات الهندية .

تفرّقت الحملة فى كمائن حول المعبد ، انتظاراً لقدوم كريشنا والمهراجا المزيف . وما إن أزفت الساعة السابعة ، حتى لاح «كريشنا» وهو يعتلى ظهر «أشوك» ، يليه «شانكار» على «كيشا» ، تتبعهما العربات والثيران . وكانا يتحدثان بحرية ، ويتصايحان بفرح ! ألم تقترب مهمتهما على الانتهاء بنجاح ! كانا لا يدريان ما يخبئه لهما المغامرون من مفاجأة قاتلة ، سوف تقضى على آمالهما ، وعلى تجارتهما غير المشروعة إلى الأبد ، وتضعهما فى غياهب سجون الهند حتى آخر العمر ! . .

دخلا المعبد فى اطمئنان . وبعد قليل ما لبث أن تبعتهما

القوّة ! ! . . لقد ضُبطا وهما متلبسان بالجريمة . فلم يكن أمامهما بدٌّ من الاستسلام والاعتراف الكامل !

خرجا من المعبد فى حراسة الجند وهما يجرّان أذيال الخيبة والهزيمة . وكان «كريشنا» ينظر فى دهشة بالغة إلى المغامرين ومعهم ماجد ! إنهم بعينهم الذين يستأجرون منه «شاليمار» ! ! . . إنه لو كان يعلم الغيب لما أجرّ لهم داره ! . . ولما خرج معهم فى صيد النمور ! ! . .

رجعت الحملة بصيدها الثمين ، إلى حيث يقطن «كريشنا» . وهناك عثروا على المئات من القطع الأثرية الفنية ، كبيرها وصغيرها ، أخفاها «كريشنا» بمهارة فى مخابئ سرّية . ثم توجّهت الحملة بعد ذلك إلى بنجالو «شاليمار» حيث عثروا على نفائس مماثلة مبعثرة فى البدروم !

قالت عالية لمدير الشرطة : لو كنا نعلم أننا نعيش فوق هذا الكنز ، لأبلغنا عنه ، وكنّا تفادينا هذه المغامرة المثيرة ، ولما حدث لأخينا عامر وجابو ما حدث ! . . ولكن الحمد لله جاءت العواقب سليمة . وقال عامر : لقد التقطت من فوق الأشجار عدة صور لرجال العصابة وهم فى موقع الجريمة ! فأجابه مدير الشرطة وقد أصابه الذهول : صحيح ! يهمّنا جدًّا أن نحصل على هذه الصور

لضمّها إلى ملف التحقيق . كما أن جرائدنا المصوّرة سوف تتسابق إلى نشرها على صفحاتها ، فإن أحداً لن يصدّق ما حدث لكم ، ولكن هذه الصور برهان قاطع على ما قمتم به من مغامرة رهيبة !

ثم وجّه مدير الشرطة حديثه إلى المغامرين قائلاً : ويسرّني أن أخبركم أن الحكومة الهندية كانت قد رصدت مكافآت ضخمة لمن يرشدها إلى عصابة من لصوص المعابد . وهذه المكافأة من حقكم الآن ! وهنا انبرى عارف وقال له بحماس : نحن نشكر الحكومة الهندية ، ولكننا نعتذر عن قبول هذه المكافأة المادية ، فنحن لم نقم إلا بما أملاه علينا الواجب والضمير .



الهند تكرّم المغامرين

قضى المغامرون فى «شاليمار» ثلاثة أيام ، أمضوها فى الراحة والاستجمام ، من عناء ما ذاقوه من متاعب ومصاعب وآلام .

وكان جابو دائم التردّد عليهم ، بعد أن علم بأنهم على وشك الرحيل . وكانت «سيتا» تشعر بغريزتها بقرب فراق أصدقائها الجدد ، الذين أحبّتهم حبّها لجابو ! فكانت تتشبث بالبقاء بجوارهم ، وتعصى أوامر «جابو» لها بالعودة إلى المنزل .

جابو

وكان المغامرون — وخصوصاً عالية — سعداء بها ، يطعمونها بالفاكهة والخضروات ، وبكميات كبيرة من أوراق الشجر الخضراء ، حتى تعرّت حديقة المنزل وكادت تصبح جرداء ! وقال لهم جابو : إن سيتا لا تفكّر الآن إلاّ فيكم ، ولا يشغل بالها غيركم ، حتى أنها أهملت العلف الذى أقدّمه لها ، وحمّام الصباح والمساء ! فقالت له

عالية وقد بدا الحزن على وجهها : ونحن أيضاً سنفتقدها كثيراً . فمن أين لنا فى شوارع القاهرة المزدحمة ، بفيلة جميلة مثل سيتا ، نمتطيها للنزهة ولقضاء مشاويرنا !

وفى اليوم الرابع تلقى ماجد كتاباً مستعجلاً من السفير المصرى ، هذا نصه : تلقت السفارة المصرية مذكرة من وزارة الخارجية الهندية ، بدعوة الأبطال المغامرين المصريين إلى العاصمة ، لكى تقدم لهم الشكر على ما قاموا به من بطولات خارقة ، أدت إلى القبض على أخطر عصابة للصوص المعابد . ولذلك نرجو منكم الحضور فوراً بصحبتهم .

* * *

حان وقت الفراق ، وكان منظر جابو يفتت الأكباد ، وهو يقف بجوار «سيتا» ، صامتاً حزيناً ، يذرف الدمع الغزير . أما «سيتا» فمن حسن الحظ أنها كانت لا تعرف البكاء ، وإلا لكانت ذرفت منه أنهاراً : ولكنها بركت على الأرض بالقرب منهم ، فى محاولة يائسة منها لكى يعتلواها ! فذهبت إليها عالية وهى تشعر بالأسى والإشفاق عليها ، وهمست فى أذنها الواسعة الكبيرة : هذه المرة سنركب السيارة . . فالمسافة عليك طويلة ! الوداع يا سيتا !

وعندما تحركت بهم السيارة ، أخذوا يلوحون بمناديلهم إلى جابو

وسيتا . وكانت سيتا تلوح لهم بخرطومها ، وتطلق نفيرها العالى فى الهواء ، فكانت نبراته ترن فى آذانهم حتى اختفى شبحها الضخم عن الأنظار .

وصلت بهم السيارة إلى نيودلهى ، بعد رحلة طويلة مرهقة ، لزم المغامرون خلالها الصمت التام . حتى عالية ، لم تنبس بحرف واحد ، وهى التى لا تكف عن السؤال والتساؤل . كانت الذاكرة تعود بهم إلى الوراء . . . إلى شاليمار . . والغابة الكثيفة الموحشة . . . والنمر المخطط المفترس . . والقرود والسنانيس . . والمعبد المهجور بتمثاله الذهبى . . وكريشنا والمهراجا المزيف والشقى جوبتا . . وجابو وهو ينتظرهم فجر كل صباح بالفاكهة واللبن المقدس . . وسيتا اللطيفة ! وأسفاه . . لقد تحولت هذه الحقائق إلى عالم الذكريات ! ! . .

* * *

وفى الصباح صحبهم السفير المصرى إلى وزارة الخارجية الهندية ، حيث قابلهم وكيل الوزارة المختص ، وقدم لهم رسمياً الشكر نيابة عن الحكومة الهندية . وقد أبدى لهم تقديره الخاص لاعتذارهم عن قبول المكافأة المادية الضخمة . وقال لهم إن هذه اللفتة منهم إن دلت على شىء ، فعلى نبل أخلاقهم ، وحميد صفاتهم . ثم قال : ويسعدنى أن تقبلوا من الحكومة الهندية ولو هدية تذكارية ، تشعرنا بأننا أدينا

واجبنا نحوكم . فقال عامر نيابة عن المغامرين : ونحن يشرّفنا أن نقبل منكم هذه الهدية . فقال وكيل الوزارة : ونحن يسعدنا أن نلبي رغبتكم . فقال عامر : أما عن نفسي ، فإني أكون سعيداً لو حصلت على كتاب عن تاريخ الهند وعاداتها وتقاليدها وثقافاتها وأديانها .

«**عارف**» : وأحصل أنا على تمثال صغير لمهراجا حقيقي !

قالت «عالية» : وأنا على تمثال من العاج لفيلة ، سأسميها «سيتا» !

«**سمارة**» : وأنا على ببغاء ذي أربعة ألوان ، سأسميه «جابو» !



٢٢٠٧٦٥






عامر   عالية   عارف   مرجان



سافر المغامرون الثلاثة : عامر ، وعارف ، وعالية ، ومعهم سمارة ، إلى الهند بدعوة من ابن عمهم المستشار بالسفارة المصرية فى نيودلهى . وهناك فى مصيف « سملا » الجبلى ، وجدوا أنفسهم وسط الغابات الموحشة ، والحيوانات المفترسة ، يقتفون أثر أخطر عصابة لسرقة آثار المعابد الهندوسية المقدّسة ، التى يتزعّمها مهراجا مزيّف ! أما كيف تم لهم القبض على هذه العصابة ، وإنقاذ هذه الكنوز الفنية ، فهو ما سوف تقرأه فى هذا اللغز .



دار المعارف